إلى القارئ

نحن نؤمن بثقافة قومية تستمد مقوماتها من الجماعة وتركز أسسها على واقع القوم علما منا بأن أخص خصائص الثقافة هي الاصالة التى بدونها لن يتسنى للفرد أن يعبر ، في حرية تامة وبشتى الطرق ومختلف الوجوه ، عن آلام قومه وآمالهم وبدونها لن يمكن له الوقوف من حياته وحياتهم موقفا انسانيا « ديناميا » • ونحن لا نؤمن بذلك فقط بل ندعو اليه ونعمل من أجله وقراؤنا على بينة من أمرنا •

على أن مثل هذه النظرة وان ظهرت كأنها تحد من مفهوم الثقافة فتجعلها منطوية على نفسها منغلقة الى أبعد حدود الانغلاق هي في نظرنا سليمة أصيلة الانسانية لاننا نعتقد أن هذه الثقافة القومية لا تثرى ولا تستكمل مقوماتها الا اذا هي انفتحت الى ثقافات الجماعة الكبرى ـ أى ثقافات الانسانية بأكملها ـ فكرعت منها ما وسعها أن تكرع واستمدت من فيضها ما هو جدير باطراد الحياة فيها • لذا فنحن لم نبخل ـ ولن نبخل ـ على القراء في هذه المجلة بكل طريف أصيل من ثقافات الامم الاجنبية قديمها وحديثها شرقيها وغربيها •

غير أن موقفا كهذا يجعلنا في مقام المستهلك الذى يتضاءل كلما انفتح للغير ويذوب ويتلاشى كلما أمعن في ذلك • فاذا هو لم يثر بدوره ولم يتفاعل مع غيره كان موقفه موقفا سلبيا يكمن فيه الفناء وينضب من أجله معين الحياة فيه • لذا فنحن ندعو الى الحوار بين الثقافات ، الحوار في أسمى معانيه • فيكون أخذ وعطاء وتوريد وتصدير : سنة الحياة في أتم مظاهرها • ولعل أبرز ميدان يسهل فيه ذلك بالنسبة الينا هو ميدان الادب اذ من اليسير ـ قصد تنمية أدبنا ـ ترجمة ما نملكه من تراث قديم وحديث الى لغات أجنبية ليكون التعارف أكمل والتفهم أبعد أثرا وحرص الامم على هذا الامر كبير في عصر قد آمن فيه كل عاقل بزوال الحواجز التى كانت تحول دون شعب وآخر • فنحن ندعو اذن ـ الى جانب ما دعونا اليه في افتتاحياتنا السابقة من جمع للتراث ونشر له وتشجيع للمواهب ـ الى الانكباب على نقل عيون أدبنا الى اللغات الاجنبية • وهو عمل جدير بالاعتناء يجعلنا نطمئن الى أننا نثرى ـ بما لدينا من طاقة ـ آداب الانسانية فنكون عنصرا من عناصر الحياة فيها •

الفكر

حقيقة الاشتراكية ومبادؤها الاساسية

بقلم : عبد المجيد رزق الله

تعريف الاشتراكية ليس من الامور الهينة شأنها شأن بقية الالفاظ المعبرة عن المذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية مثل الديمقراطية والراسمالية والفردية والتعاضد والحرية والعدالة والكرامة وغيرها من العبارات المتداولة على السنة المفكرين السياسيين.

وقد ظهرت كلمة الاشتراكية في بداية القرن التاسع عشر على اثر الثورة الصناعية التي اقتضت اعادة التنظيم الاقتصادي والاجتماعي والسعي الى سياسة تتجه بالانتاج الى النفع والمصلحة لا الكسب والربح. كما اصطنعت لفظة الاشتراكية لمعارضة مذهب الفردية الذي كان سائدا في ذلك العصر. وكان دعاة الاشتراكية يؤكدون — مقاومين بذلك الالحاح السائد من طرف دعاة الفردية — العنصر الاجتماعي في العلاقات البشرية. كما يحاولون ابراز المشاكل الاجتماعية ووضعها في مقدمة المشاكل الملحة التي برزت للوجود على اثر اقرار حقوق الانسان التي اطلقتها من عقالها في وجه العالم الثورة الامريكية وبالخصوص الثورة الفرنسية لسنة 1789 والثورة المصاحبة لها في الحقل الاقتصادي.

من المعلوم ان الثورة الصناعية امتازت في اوروبا الغربية بسيادة البورجوازية الراسمالية وسيطرة المال وتقدم العلم وانتشار الصناعة والتجارة وازدياد الازدهار. وكانت البورجوازية الراسمالية في حاجة الى اليد العاملة حيث حلت طريقة الانتاج الصناعي محل الانتاج اليدوي. فالمعادن لاتستخرج من المناجم بدون حفارين والالة لاتصير آلة بدون ايد تشعل النار وتذيب الحديد وتجمع القطع والسفن لاتحمل بدون عملة مراس ولا تمخر البحار بدون بحارين. وهكذا انتشر التقدم الصناعي بسرعة عظيمة وتحولت الصناعات اليدوية والزراعية الى تصنيع آلي بالجملة ونمت التجارة واتسعت وتضخمت الثروات وتجمعت. كما تحول الانتاج من انتاج فردي الى انتاج جماعي واسع بفضل التزاحم على استثماره وحلت الشركات الانتاجية والاستثمارية محل الاعمال الفردية.

وكان من نتيجة الثورة الصناعية ظهور طبقة العمال وتضخمها واساءة حالها مقابل ازدياد بحبوحة طبقة رؤوس الاموال. فأخذ النقاد يتجادلون ويقولون انه ما دام اصحاب المصانع لايستفيدون دون جهود عمّالهم وجب ان

يكون مناب هؤلاء اوفر مما هي عليه. بل ان بعضهم قال يحق للعامل ان يصبح مالكا للبضاعة التي ينتجها. وقال غيرهم ان الثروة التي نتجت عن طريق العمل يجب ان توزع بالتساوي على العمال الذين باشروا انتاج البضائع التي جلبت تلك الثروة اي انهم يجب ان يشتركوا في اقتسامها.

***

ومن هنا انبثقت فكرة الاشتراكية واخذت تتجه اتجاهات مختلفة واحيانا متباينة.

فكانت الاشتراكية الانسانية على الطريقة الدينية مستمدة تعاليمها من الاخلاق والروحانيات التي تأمر بالمحبة والخير ومساعدة الفقيـــــر...

وكانت الاشتراكية الانسانية الاقتصادية التي حمل لواءها "سان سيمون" و "فوريي" في فرنسا و "أووين" في انقلترا سنة 1841 والتي يقول في صددها البروفسور ج. د. ه. كول استاذ النظريات الاجتماعية في جامعة اوكسفورد في كتابه "رواد الفكر الاشتراكي" (١) : لقد كان يجمع ما بين "سان سيمون" و "فوريي" و "واووين" رغم الفروق الكثيرة التي بينهم استشراف هو في اساسه اجتماعي. وكان هذا صحيحا في ثلاثة معان مختلفة — برغم ما بينها من صلة — على الاقل، ففي المحل الاول اعتبرت الجماعات الثلاث (اي جماعات "السان سيمونيين" و "والفوريين" و "الاووينيين") كلها "المسألة الاجتماعية" اعظم المسائل شأنا على الاطلاق واصرت على ان واجب الاخيار من الناس يقتضيهم قبل كل شيء اخر ان يعملوا على تعزيز السعادة العامة والخير العام. وفي المحل الثاني اعتبرت الجماعات الثلاث كلها هذا الواجب متناقضا كل التناقض مع استمرار اي نظام اجتمـــاعي يقــوم — او يتجه اتجاها ثابتا نحو التشجيع — على صراع تنافسي بين الانسان والانسان في سبيل اسباب العيش. وفي المحل الثالث كانت الجماعات الثلاث كلها ضعيفة الثقة الى ابعد الحدود "بالسياسة والسياسيين"... واعتقدت ان مقاليد الشؤون الاجتماعية في المستقبل يجب ان توضع في الدرجة الاولى لافي ايدي المجالس النيابية او الوزراء بل في أيدي "المنتجين". وانه اذا امكن تنظيم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من حياة الناس تنظيما صحيحا فعندئذ تنسخ اشكال الحكم وضروب التنظيم السياسي التقليدية في وقت قريب وعندئذ يحل

---

(١) نقله الى العربية منير البعلبكي ونشرته « دار العلم للملايين » ببيروت

عالم جديد قوامه السلام والتعاون الدوليان محل العالم القديم القائم على منازعات العائلات المالكة والمنازعات الاستعمارية."

ويضيف ج. د. ه.كول الى تحليله هذا لنظرية رواد الفكر الاشتراكي الاولين قائلا : "ولكن العنصر المشترك بين المذاهب الثلاثة كان رغم ذلك كافيا لان يضع في لغة الشعب الدارجة اسما مشتركا ـ لقد كانت كلها عدوا للفردية وللنظام الاقتصادي التنافسي وللفكرة القائلة بقانون اقتصادي طبيعي خليق به ان يؤدي الى الخير العام شرط ان يحجم السياسيون ـ فيما هم يصونون حقوق الملكية ويطبقونها ـ عن التدخل بعد اليوم في تنظيم الشؤون الاقتصادية لقد عارضت كلها مبدأ "دعه يعمل" " Laissez faire " اعتقادامنها انالشؤون الاقتصادية والاجتماعية في حاجة الى تنظيم جماعي يجب ان يقوم بطريقة ما على مبدإ تعاوني لاعلى مبدإ تنافسي"

ويختم ج. د. ه. كول كلامه بقوله : "وهكذا عنت الاشتراكية كما اصطُنعت الكلمة أول ما اصطنعت تنظيما جماعيا لشؤون الناس على أساس تعاوني يهدف الى سعادة الجميع ورفاهيتهم ويضع التوكيد لاعلى "السياسة" ولكن على الانتاج وتوزيع الثروة وعلى توزيع العوامل "المشتركة" في تربية المواطنين مدى الحياة على "اخوة" تعاونية ـ لاتنافسية ـ من السلوك ومن المواقف والمعتقدات الاجتماعية. ويلزم عن ذلك ان جميع الاشتراكيين كانوا يعنون عناية عميقة بالتربية وانهم اعتبروا التربية الاجتماعية الصالحة "حقا" اساسيا من "حقوق الانسان".

ويقترب من هذا النوع من الاشتراكية الانسانية الاقتصادية الاشتراكية "الفابية" الانقليزية نسبة الى الجمعية الفابية التي نشأت في سنة 1883 بانقلترا بواسطة "جورج برنادر شو" "وبياتريس وسيدني ويب" وغيرهم. وهذا النوع من الاشتراكية يمتاز بنبذ العنف والاعتماد على الاقناع وهو الذي غذى حركة حزب العمال البريطاني....

***

قد اطلق على الاشكال الانفة الذكر من الاشتراكية باسم "الاشتراكية الخيالية " او " الطوباوية " (Utopiste) خلافا " للاشتراكية المادية العلمية التاريخية " (Socialisme scientifique) التي حمل لواءها " ماركس " و " انجلس" و " لينين " والتي تهدف الى تغيير المجتمع البشري لا عن طريق الاصلاح الهادي التوجيهي بل عن طريق الاصلاح الانقلابي الثوري.

ومعلوم ان المادية التاريخية "هي نظرية" كارل ماركس" التي تفسر احداث التاريخ تفسيرا "ماديا اقتصاديا" "وهي الجانب الاجتماعي للمادية" "الديكتاتيلية" للفيلسوف الالماني "هيقــل".

ويرى ماركس ان العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد الايجابي الذي يؤثر في علاقات الافراد والامم ويعين مجرى التاريخ. وهذا العامل يؤثر ايضا في التنظيم الاجتماعي والسياسي والثقافي. فلا أثر للنواحي المعنوية الاخرى من دين واخلاق وغيرها في نظرة ماركس هذه المتطرفة...

وخلاصة النظرية الماركسية ان تطور المجتمعات يرجع الى تغير اساليب الانتاج اى الى العامل الاقتصادي هو أساس التاريخ منذ بدايته. وهي تقوم على أن التطور يسير وفقا لميكانيكية معلومة وحتمية واضحة. فكل مجتمع يحتوى على مجموعة من الاضداد والمتناقضات وبعض اوجه التعارض. وهذه تؤدى الى التصادم فالحركة فالتغير، والراسمالية تقوم على متناقضات طبقة صغيرة بورجوازية تملك ادوات الانتاج فهي بوصفها هذا طبقة مستغلة. وطبقة لاتملك شيئا خلاف العمل الذى تقوم به مقابل اجر وهي بوصفها هذا مستغلة وهي الكثرة الغالبة. وهذه الطبقة العاملة يزداد حالها سوء نتيجة استغلال طبقة البورجوازية (الراسماليين) لها نتيجة استيلاء الاخيرة على ما اسماه ماركس " القيمــة النــائضــة " " la plus value " والتي هــي مــن حــق "البروليتاريا اى الطبقة العاملة". ويتسبب ذلك في عدم توازن بين القدرة على الانتاج والقدرة على الاستهلاك. وينتج عن هذا الوضع الازمات والبطالة والقوى الانتاجية التي تنمو داخل النظام الراسمالي تحلق المتناقضات ويؤدى عمق المتناقضات وعنف الصراع الطبقي الى الانفجار فالثورة الدموية فإنهاء النظام الراسمالي وافساح المجال للنظم الاشتراكية فالشيوعية. فنهاية النظام الراسمالي في نظر ماركس نهاية محتومة واحلال الشيوعية محلها محتوم ايضا وبطبيعة الحال...

***

هكذا اتخذت الاشتراكية اتجاهات وقامت احزاب سياسية متعددة كلها ترمى الى تحقيق مجتمع أفضل تسوده العدالة الاجتماعية ويتخلص فيه الانسان من الفقر والجهل والمرض وتقترب فيه الشقة بين طبقات المجتمع بالعمل والازدهار والعدالة والمساواة. ففي فرنسا وايطاليا والمانيا أحزاب اشتراكية ماركسية (ولكن غير شيوعية) واخرى "اشتراكية مسيحية" وفي انقلترا "الحزب الاشتراكي العمالي" وفي البلاد الاسكندينافية أنواع اخرى اشتراكية

وفي روسيا "الجمهوريات الشعبية" التابعة لها وغيرها من البلدان "احزاب اشتراكية شيوعية ماركسية لينينية" واخرى "سالينية"...

وكل من هذه الاحزاب يتبنى مبدأ يتمشى عليه او يختار طريقا يسير عليها.

وبعد الحرب العالمية الثانية الاخيرة تسربت الاشتراكية الى البلدان الافريقية الاسيوية وتألفت أحزاب واتخذت الاحزاب القديمة اتجاهات اشتراكية مبنية اما على مبادىء قومية او على مبادىء انسانية او علىمبادىء اصلاحية او على مبادىء اجتماعية.

ففي الجمهورية العربية المتحدة ظهرت" الاشتراكية الديمقراطية التعاونية "وفي بلدان افريقيا السوداء ظهرت احزاب ديمقراطية اشتراكية "تقدمية" وفي بلدان المغرب العربي تبنت الاحزاب السياسية المبادي الاشتراكية واخذت تبحث عن طريقها للوصول الى اهداف اشتراكية...

ان قيام هذه الاحزاب في الغرب والشرق لدليل واضح على ان الانسان لم يعد يطيق الظلم الاجتماعي وصار ينشد العدالة الاجتماعية.

وغاية ما في الامر هو اختلافها في طرق الوصول الى هذه العدالة الاجتماعية. ولو ان الاحزاب الاشتراكية بانواعها واشكالها متفقة مبدئيا في وضع أهم وسائل الانتاج في يد الجماعة فانها تختلف فيما بينها في استعمال اللين او العنف وفي استعمال الطريقة الديمقراطية او الديكتاتورية وفي استعمال الاصلاح التدريجي او الطريقة الثورية لبلوغ الاهداف الاشتراكية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

ونحن في تونس اليوم مع ايماننا بالمبادىء الاشتراكية وبوجوب تحقيق العدالة الاجتماعية ومع تشبعنا بروح الكفاح والعمل الجماعي التي غرسها فينا المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة وتربينا عليها في حزبنا العتيد الحزب الحر الدستوري التونسي فاننا نرفض اعتبار تطاحن الطبقات كنتيجة حتمية للتطور الاقتصادي ونسعى بالعكس الى الاقناع واتحاد الطبقات واشتراكها في المجهود الموحد لفائدة الجميع وتحقيق "ديكتاتورية المصلحةالعامة"دونسواها.

***

والآن وقد رأينا ما هي الاشتراكية وكيف تطورت وتنوعت وانتشرت بقي علينا أن نحدد بإيجاز مبادئها الاساسية.

ولنا أن نتساءل قبل كل شيء لماذا اخترنا في تونس الاشتراكية كمذهب لنا في الحياة ؟ ان الجواب على ذلك بسيط

فالاشتراكية أصبحت اليوم قبلة الشعوب وشغل الدول الشاغل وخاصة المتخلفة منها. ذلك لانها أنجع الوسائل للنمو الاقتصادى والتطور الاجتماعي في عصرنا الحاضر وهي تتماشى اولا وبالذات مع حياتنا الحزبية الشعبية تلكم الحياة المنبثقة من الشعب بتمامه وكماله لامن طبقة دون أخرى وتتماشى أيضا مع مبادىء حزبنا العتيد العامل لمصلحة الشعب في ميادين ثلاثة وهي التحرير من الاستعمار والقضاء على مخلفاته وتحقيق العدالة والرفاهية للجميع.

وما مبادىء حزبنا هذه الا مبادىء اشتراكية : فمقاومة الاستعمار تقتضي مقاومة الظلم والاستبداد. وتصفية مخلفاته تقتضي القضاء على الاستغلال والخصاصة والفقر وتحقيق العدالة والرفاهية تقتضي توفير امكانيات العمل والازدهار للجميع.

فالمبادىء الاشتراكية هي حينئذ :

اولا : مقاومة الحيف وتحقيق العدالة الاجتماعية

ثانيا : توفير الامكانيات للفرد لبلوغ الرفاهية والازدهار
ونتيجة لذلك :

ثالثا : الحد من الحرية المطلقة الاقتصادية وتنظيم الاقتصاد لفائدة الجميع.

رابعا : تقريب الشقة بين طبقات المجتمع بالعدالة والمساواة.

ولبلوغ ذلك

خامسا : نبذ العداوة والتطاحن التي تثيرها روح المنافسة والاستغلال واحلال روح الاخوة والتعاون. فلنحلل الآن هذه النقط واحدة واحدة :

***

مقاومة الحيف وتحقيق العدالة الاجتماعية :

ان فكرة الاشتراكية ناتجة عن مشاهدة مظاهر التفاوت والحيف. فوجود أقلية تتمتع بالتعليم والصحة والمسكن مقابل اغلبية محرومة من هاته المصالح الاجتماعية.

وتفشي البطالة وعدم امكانيات العمل للتحصيل على وسائل العيش...

واستغلال اقلية من محتكري وسائل الانتاج لهذه الوسائل وبالتالي الانتاج نفسـه....

كل هذه المظاهر التي هي مظاهر تفاوت وحيف تدفع الاشتراكيين الى العمل في سبيل العدل والانصاف...

كما تدفعهم الى المطالبة بعدد من الحقوق :

منها الاجتماعية كحق التعلم والصحة....

ومنها الاقتصادية كحق العمل والتمتع بثمرة العمل...

اما حق العمل فلا يتسنى بالملكية الفردية وحدها التي قد تقود الى سوء التصرف او الحيف والاستغلال...

واما حق التمتع بثمرة العمل فلا يتسنى بالنظام الراسمالي الاحتكاري المبني على التزاحم والربح...

فالاشتراكية هي حينئذ اسلوب مطالبة...

وهي ترفض الاحسان والشفقة وانما تعرض حقوقها وتطالب باحترامها ومن هنا جاءت صبغتها الثورية...

توفير الامكانيات للفرد لبلوغ الرفاهية والازدهار :

ان فكرة العدالة الاجتماعية المبينة انفا تقتضي توفير الامكانيات للفرد وخاصة في ميدان التعليم وميدان العمل. وهذه الامكانيات تؤمن للفرد التكوين المهني والفني كما تؤمن له الشغل للارتزاق والتحصيل على وسائل العيش الكريم.

وينتج عن كل ذلك رفع المستوى الادبي والمادي للانسان...

الحد من الحرية الاقتصادية المطلقة وتنظيم الاقتصاد لفائدة الجميع :

ان تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الامكانيات للفرد يقتضيان تدخل الدولة وتنظيم الاقتصاد بسياسة التخطيط وتنظيم الاقتصاد وتوجيهه ولـذا فان الاشتراكية لا تؤمن بالحرية الفردية في ميدان الاقتصاد بل تحد منها وذلك لسببين اصليين :

اما الحيف والاستغلال كما يوجد ذلك في النظام الراسمالي...

واما سوء التصرف كما يوجد ذلك عن جهل في البلدان المتخلفة...

فالتخطيط حينئذ يجعل الانتاج والتوزيع خاضعين لارادة الدولة وموجهين نحو اهداف واضحة وبوسائل مضبوطة وان وجد التخطيط في النظام الراسمالي فانه يمتاز عنه في النظام الاشتراكي بعدة نقط أهمها :

اولا : تحقيق اقتصاد متوازن في قطاعاته ومناطقه...

ثانيا : توفير الحاجيات المادية والادبية لعموم المواطنين جماعات كانوا او افرادا...

ثالثا : مساهمة عموم المواطنين من فلاحين وصناعيين وتجار وعملة وغيرهم في ضبط اهداف التخطيط ووسائله والمشاركة في انجازه

رابعا : تأميم القطاعات الاقتصادية ذات الصبغة القومية كالطاقة والنقل والمصانع الكبرى وغيرهـــا...

تقريب الشقة بين طبقات المجتمع بالعدالة والمساواة :

ان فكرة العدالة تتبعها فكرة المساواة. وكثير من المؤلفين يجعل المساواة اهمّ عنصر في الاشتراكية.

وفي هذا الصدد يقول أحدهم : "الاشتراكي هو كل من يجعل هدفه انقاص عدم المساواة الاجتماعية".

ويقول آخر : "اذن اقصد بالاشتراكية كل نزعة تبتغي المساواة الحقيقية بين الناس".

وليس المقصود بالمساواة في نظر الاشتراكيين المساواة الحقوقية امام العدالة وفي الانتخابات فحسب...

بل المساواة الفعليةايضا: وهي رغبة الانسان فيأن تقل تعاسته وتزيدرفاهيته.

الاخوة والتعاون والديمقراطية :

ان اسمى هدف للاشتراكية هو نبذ العداوة والشحناء والتطاحن التي تثيرها روح الاستغلال والمنافسة.

واحلال روح الاخوة والتعاون وكذلك توخي سياسة الاقناع بالمناقشة الحرة النزيهة واعتبار المصلحة العامة الجماعية فوق المصالح الخاصة الفردية.

وبكلمة موجزة ان الاشتراكية تهدف الى الديمقراطية الحقيقية اى الى حكم الشعب لابواسطة الشعب فحسب بل لفائدة الشعب أيضا .

هذه أهم المبادىء الاشتراكية وهي مبادىء اخلاقية سامية .. فالاشتراكية ترمي الى تحقيق العدالة والمساواة وفرحة الحياة للجميع في كنف الاخوة والمحبة والتعاون والديمقراطية

وهده اسمى صفات الانسان التي يتميز بها عن بقية المخلوقات بما وهبه الله من عواطف يشعر بها وعقل يحكم به وإرادة تدفعه الى تحقيق ما في الانسانية من محتوى سام كريم .

عبد المجيد رزق الله

لِسَانِ الخَطِيبِ وَقَلْبِ الادِيبِ
وَكَفِّ الَّذِي فِي الحُرُوبِ انْتَصَرْ

هُنَا حَيْثُ (رُوسُو) ثَوَى مُطْمَئِنًّا
وَ(فُولْتِيرُ) بَعْدَ الطَّوَافِ اسْتَقَرْ

وَقَفْتُ أُصِيخُ إلىَ الذِّكْرَيَاتِ
وَأَسْتَلْهِمُ النَّائِمِينَ الْعِبَرْ

وَأعْرِفُ لِلْعَقْلِ مَجْدًا أثِيلاً
يُشِيرُ إلَيْهِ بَلِيغُ الاثَرْ

وَيُرْهِقُنِي السَّيْرُ بَيْنَ الجُمُوعِ
وَذَاكَ الضَّجِيجُ اللَّجُوجُ العَكِرْ

فَأهْرَبُ مِنْ قَارِعَاتِ الطَّرِيقِ
وَأجْلِسُ تَحْتَ ظِلاَلِ الشَّجَرْ

وَمَاءُ الحَدِيقَةِ (4) صَافٍ نَمِيرٌ
يُرَشُّ عَلى عُشْبِهَا وَالزَّهَرْ

فَتُطْرِبُنِي وَشْوَشَاتُ الطُّيُورِ
وَهَمْسُ النَّسِيمِ إذَا مَا خَطَرْ

وَيُفْعِمُ نَفْسِي هُبُوبُ الْعَبِيرِ
وَيُرْهِفُ حِسِّي جَمَالَ الحَجَرْ

فَأسْألُ (فِرْلِينَ) عَمَّا رَآهُ
وَيَسْألُنِي عَنْ غُزَاةِ الْقَمَرْ

***

وَيَغْلِبُنِي الشَّوْقَ بَعْدَ انْتِظَارٍ
سَلَكْتُ إلَيْهِ طَرِيقَ الحَذَرْ

فَأغْشَى بُيُوتَا أتَى وَارِدُوهَا
عَلَى كُلِّ بَحْرٍ وَمِنْ كُلِّ بَرْ

هَفَوْتُ إلَيْهَا بِقَلْبٍ ألُوف
يَعِيشُ عَلَى وَصْلِهَا المُنْتَظَرْ

تَعَوَّدَ وِرْدًا بِدُون احْتِسَاب
وَلَمْ يَخْشَ يَوْمًا رُكُوبَ الخَطَرْ

دَعَتْنِي بِبَارِيسَ دَارٌ عَجُوزٌ
بِهَا كُلُّ عِلْمٍ نَمَا وَازْدَهَرْ(5)

وَتِلْكَ النَّوَادِي يَحُثُّ إلَيْهَا
لَذِيذُ الحَدِيثِ وَحُلْوُ السَّمَرْ

وَجَمْعُ الشَّبَابِ يَزِينُ الحَيَاةَ
كَمَا زَانَ عَهْدُ الشَّبَابِ العُمُرْ

هُنَاكَ اغْتَرَفْتُ بِشَوْقٍ لَهُوف
هُنَاكَ نَظَمْتُ العُيُونَ الْغُرَرْ

وَعِشْتُ الزَّمَانَ كَمَا كُنْتُ أهْوَى
وَكَمْ رَاحَ مِنِّي وَلَمْ أسْتَشِرْ

وَكَمْ طَابَ لِلنَّاسِ فِيهِ امْتِدَادٌ
وَمَا طَابَ لِي فِيهِ إلاَّ القِصَرْ

كَأنَّ وَرَاءَ الحَيَاةِ الْحَيَاةَ
أوَ آنَّ الزَّوَالَ أخَفُّ الضَّرَرْ

⁂

وَفَارَقْتُ تِلْكَ الْمَجَالِسَ عِنْدَ الْتِهَـ
ـابِ النُّجُومِ وَزَحْفِ السَّحَرْ

وَجِئْتُ (تُريْفِيلَ) قَبْلَ الصَّبَاحِ
وَتَحْتِي الْفَوَانِيسَ مِثْلَ الشَّرَرْ

وَسَرَحْتُ طَرْفِي بِحَقْلِ الضِّيَاءِ
فَوَلَّتْ دِيَارٌ وَعَادَتْ أُخَرْ

وَأَلْفَيْتُ بَيْتِي وَرَاءَ الْهِضَابِ
تَلَقَّعَ بِاللَّيْلِ لَيْلِ الحُفَرْ

فَبِتُّ أَعُدُّ بَطِيءَ الثَّوَانِي
وَأَحْسُبُ فَوْقَ حِسَابِ الْقَدَرْ

وَمَا كُنْتُ إِلاَّ سَجِينَ الامَانِي
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ خَيَالٌ عَبَرْ

جعفر ماجد

***

إصلاح خطأ

وقع تحريف في قصيدة جعفر ماجد (الربيع) المنشورة بالعدد الاخير في البيت التالي :

أَوْ طَائِرٌ بَيْنَ (الازَاهِرِ) يَرْتَمِي
فِي إِثْرِ آخَرَ شَادِيًا صَفَّاقَا

والصواب :

أَوْ طَائِرٌ بَيْنَ (الاشِعَّةِ) يَرْتَمِي
فِي إِثْرِ آخَرَ شَادِيًا صَفَّاقَا

ارادة الحيـــــاة

بقلم : البشير المجدوب

ربيع يولد. هي ذي أنفاسه تنفذ إليك وتشيع فيك.. هذا لهاثه السمح الخجول قد عرفته ولن يشتبه عليك .

انه هو ! ابن الطبيعة المدلل.. خلقها العبقري فنها يتصور..

أي سر في روعة الربيع المعجزة الفائقة كلّ روعة !؟ أهو سرّ كل ولادة وكل انبثاق وكل بداية ؟!

أتكون الزهرة الصغيرة الدقيقة الضئيلة، لانها حافلةبالوعود مهددة بالاخطار، أروع من الثمرة المكتملة الخلق الشهية اليانعة !؟

ربيع يولد. ترى كم من ربيع آخر.. كم من ربيع جديد سنعيش على الارض ؟ بل كمْ من ربيع ستعيش هذه الارض المتداعية المكلومة ؟

كم مرة سيتاح للزهر فيها أن يرشف النور ويستحم بالنسيم ويتمطى — استسلام الحب والهيام — في رشاقة الحسناء الكسلى فينضح الجو بعبيره النشوان..

كم سيتاح للعشب أن يلف صدر الارض ويزين عريها زغبا رقيقا، أو ثوبا حليا مثيرا... والماء، معدن الحياة وصميمها، إلى متى يقدر له أنْ يَنْبَجِسَ ويفُور ويسير كما يشاء — حرية صرفة ومحض اختيار — فيتغزل بالشمس ويضاجع الارض وينادم البحور ..

ربيع يولد. ولكن أي خاطر شؤم في النفس بل أي هاتف يسري كأنه صَوْت النعي يقول :

«ستَمُوت البذور. ستنطفىء الينابيع وتتهافت الانوار ويسدل الستار على أغرب مأساة وأفظع ختام»

الآن وقد جئنا نحن هذا الجيل بالضبط ،ولم تأثم الايدي ولم تجن الضمائر نرشح لهذا المصير، ونختص بهذه النهاية ؟

الآن وقد جئنا أظمأ ما نكون الى اللذة، وأشوق ما نكون الى الريّ والغذاء ترفع المائدة عنا - باطلا — ويختفي الطعام ؟!

هذه الارض الرّاشدة الوقور التي طابت وصلحت ملايين السنين أية قوة تقدر أن تضعضعها وتفقدها بصيرتها فتركب رأسها وتسير الى غير غاية. هنة سخيفة عَمْيَاء لاتلوي على شيء !

أثمة حقا قوة تستطيع أن تعقمها وتفسخ حسنها وتجردها من روائها فإذا هي — في لمح البصر — العجوز جفّت نضرتها وتخدّد قشرها فيلفظها الكون غير آبه لها ولا مأسوف عليها. ذبابة انطفأت بين خضم الافلاك. حَدَثٌ عادي ليس أكثرخطورة من موت بزرة سمكة في محيط مُتَرَام لاحدّ لَه !

هل ثمّة قوّة، مَهْمَا تكن جهنمية، تستطيع أن تَنْفُذَ إلى أعماق الارض وتطعنها في الصميم فإذا هي القذيفة الهائلة تتبدّد في الاثير شظايا وَتَسْتَحِيلُ هَبَاء ؟!

هؤلاء العمالقة الاقزام الذين عششوا كالنمل، كالدود في أحضانها وارتضعوا الدهر من ألبانها وأكلوا ورتعوا في لحمها أيكون لهم عليها مثل هذا الجبروت والسلطان !؟

« وداعــا كرتنــا العزيزة

الوداع أيتها اللعبــة المسكينــة ! »

ترى ألمْ يَعُدْ لَنَا من نصيب إلا أن نشيعها بهذا السلام العاجز الشامت وهذه التحية القاتمة اليائسة ؟

***

ربيع آخر. ربيع جديد. هيهات ! لن ندعك تُفلت من أيدينا يا ربيع. أن نموت دونك تطوعا واختيارا ميتة الطهر والخلوص، بل أن نقبر فيك ونمتزج برمادك لذاك أفضل وأزكى من أن تمتد أيدينا إلى جهاز الدمار والفناء.. لذاك أشْهَى من أن نلوث معنى الحياة ونرذل جوهرها ونمثل بكيانها ونحسها لعنة خزيا وجناية اثما.

قوّة الرفض ! تلك هي القوة ! فَقُلْها كلمة واحدة : لا ! كلاّ ! ألف كلا للمعاتيه المغامرين المقامرين بالانسان

كلاّ للسفهاء عربدت برؤوسهم واستنزفت ألبابهم خمرة المجد وسَوْرة السلطان..

أجل ! سنقيمها واجهة للحياة وستمتدّ الايدي من فوق الحدود والسدود، من فوق القياصرة والدول، ولسوف تشتبك عبر الاقطار، رغم المسافات والابعاد أيدي الشعوب. ونحزمها هذه الارض الصادقة الامين بحصار السلام ونشدّها الى الجميع بوثاق من الصداقة متين.

18 — 2 — 1963

البشير المجدوب

من الادب السوفياتي :

انتظـــــار

شعر : ايفان تاربا

تعريب : نور الدين صمود

وَقَفَا يَسْتَشْرِفَانِ الأُفُقَا
وَهُمَا فِي شُرْفَةِ البَيْتِ الرَّؤُومْ
وَتَهَادَى شَعْرُهَا مُنْطَلِقَا
أَدْلَجَتْ فِي لَيْلَةٍ كَفٌّ نَؤُومْ
وَبَدَا البَدْرُ يُزِيلُ الغَسَقَا
يَتَهَادَى سَابِحًا بَيْنَ النُّجُومْ
وَكَسَا الوَجْهَ سَنًى وَالعُنُقَا
مِثْلَمَا يَسْرِي عَلَى الوَرْدِ النَّسِيمْ
لَكِنِ القَلْبَانِ تَاهَا قَلَقَا
فِي بِحَارِ الضَّجَرِ المُرِّ الأَلِيمْ
حَلُمَا بِالغَدِ ثُمَّ اعْتَنَقَا...
وَسَرَى وَهْمُهُمَا خَلْفَ السَّدِيمْ
وَقَفَا يَسْتَشْرِفَانِ الأُفُقَا
فِي انْتِظَارِ (الوَلَدِ) الحُلْوِ الوَسِيمْ

ن. ص.

القصة كامنة فينا [1]

بقلم : مصطفى الفارسي

ليس فى عزمى أن أقف بينكم الليلة خطيبا ـ وان شئت ما قدرت ـ كما ليس فى عزمى أن ألقى عليكم درسا فى موضوع القصة ـ فهذا شرف اعترف بقصرى على نيله ـ واذا قبلت دعوة من دعانى من الرفقاء للمشاركة فى هذه الندوة المغربية الحافلة بالمحاضرات والاحاديث والاسمار رغم ما اعترفت به لدى حضراتكم من القصر وعدم الالمام فلانى من بين قلة تؤمن بمستقبل القصة فى بلادنا ايمانا لا يخالطه الشك . قلت أومن بمستقبل القصة ولم أقل بحاضرها لانى أعتقد أن أصحاب هذا النوع من الانتاج الادبى فى بلادنا لا يزالون يتأرجحون بين المذاهب الادبية وما زال انتاجهم مقصورا على القصير من القصص ولم يصلوا هم أنفسهم الى حد الايمان بمستقبل ما بين يديهم من المادة الخام ومن لم يؤمن بفنه لا يمكن أن يصل به الى الكمال وان يخرج به من طور المحاولة الادبية الى طور الانتاج الفكرى الخالد . هذا أيها السادة والسيدات ما جرأنى على الحضور بينكم الليلة لا بدافع التبجح بما أعلم وما لا أعلم ولا بدافع تلقينكم ما تجهلون وانما هى خواطر تخامرنى من زمان واسئلة طالما القيتها على نفسى اود الليلة أن أفاتحكم بها وأن ألقيها بدورى على من تعود الناس أن يطلق عليهم لقب الاديب أو رجل الفكر عندنا .

القضية كما تعرفون ليست وليدة اليوم ، نحن نشكو فقر الادب التونسى بصفة عامة وقد بدأنا نسمع هذه الشكاوى منذ سنوات حتى أيقن البعض منا أن المشكلة معضلة وان الداء مزمن وان علاج هذه المشكلة وهذا الداء لن يأتى على يد طبيب أو صيدلى وانه يتعين أن ننتظر المعجزة ، وفى انتظار المعجزة نقفل باب الفكر ولا نحاول الخروج من المأزق هذا مع الاسف ما يذهب اليه الكثير من أهل القلم بديارنا وهو كما سنحاول بسطه ـ غلط فادح وهرب من المسؤولية وانزواء لا يعود على نهضتنا الا بأكثر ما تواجهه من عقبات طبيعية لا تبعث فى نظرى الى حد الآن الى التشاؤم والتحسر والبكاء والشكوى ، ـ اذا كنا نعتقد أن تونس بخير واذا آمنا ان الادب هو الحياة فلا مجال الى الشكوى ولا محل للتشاؤم بل يتعين علينا جميعا نحن الذين اتيحت لنا فرصة التعلم والتثقف الفرصة النادرة التى لم تتح للالوف من اخواننا ، يتعين علينا أن نأخذ المشكلة بالنظر وامعان النظر من أساسها وان

---

(1) محاضرة القاها الكاتب بدار الجمعيات الثقافية بمناسبة « اسبوع القصة المغربية »

نعالجها على ضوء ما نعرفه من معالجة غيرنا من الشعوب المتقدمة لها يجب أن يكون ادراكنا للقضية واضحا وشعورنا بوجوب النهوض بالقصة فى بلادنا كاملا شاملا فاذا حصل لدينا هذا الادراك وهذا الشعور هان الامر وكان ذلك منا اول عمل فى سبيل النهوض بالقصة وكنا أدينا ولو جانبا من الرسالة الادبية المناطة بعهدتنا • الشعور بوجوب النهوض بالقصة ؟ أفليس هكذا تبدأ النهضة ؟ أفيعتقد البعض منا أن أدباء القصة فى الغرب قد بعثوا الى قومهم كالرسل والانبياء واطلعوا على الادب بصورة تلقائية لم يمهد لهم طريق ولم تسبقهم دعوة ؟ اننا نؤمن ان القصة من أصعب فنون الادب على الاطلاق وانها لا يمكن أن تبرز الى الوجود الا اذا سبقها تراث أدبى متين • فهل هيأنا للقصة هذا المهد وهل أعددنا جانبا من ادبائنا الى التخصص فى ميدان القصة لان المسألة ـ وأنا موقن بما أقول ـ مسألة تهيئة ومسألة اعداد واستعداد أكثر منها مسألة عدم قطعى وفقر جوهرى وعقم مزمن •

لندخل الآن اذا سمحتم فى صميم الموضوع ولننظر أولا فى ما هو المقصود بالقصة • ولن أطيل عليكم فى هذا الباب أى باب الاصطلاحات • ويكفى أن اتوه هنا بما جاء فى مقال للاستاذ عثمان الكعاك نشرته مجلة الفكر فى عددها الخاص بالقصة التونسية اذ يقول أستاذنا بطرافته المعهودة « كلمة قصة مصابة فى راى فلسفة اللغة بداء ترادف المعانى » ويكفى لتدعيم هذا الرأى أن نسرد الاصطلاحات التالية لنعرف مبلغ التشعب فى مفهوم الناس للقصة ، هنالك القصة والاقصوصة والرواية بقطع النظر عن المسرحية والنادرة والرواية الاذاعية والقصة السينمائية او السيناريو ويقابل هذه المفاهيم العربية للقصة وهذه الاصطلاحات ما لا يقل عنها تشعبا وكثرة فى اللغات الغربية •

بحيث يتعين علينا أن نضبط ما نعنيه هنا بالقصة قبل الشروع فى الحديث عن وجودها او عدم وجودها فى بلادنا • وانا اذهب الى اصطلاح آخر آمل أن لا يزيد فى تشعب الامر وذلك محاولة منى فى رفع بعض الالتباس وما هى الا محاولة لا غير • فاذا لم أصب فأمرى على الله وصفحكم جميل •

ان ما نتحدث عنه ونعنيه بالقصة هنا هو ما يسميه الفرنسيون (Le Roman) ولست اوافق على هذه التسمية لما تعرفون لها من غموض ولذلك اقترح ان نقابل كلمة بمركب رواية قصصية فهى وان لم تؤد المعنى المطلوب تمام الاداء فهى فى نظرى أقرب الى الذهن وأقل التباسا من كلمة قصة • ثم انه يمكننا أن نضعها الى جانب صديقاتها فى الادب دون أن نخلط هذه بتلك واعنى هنا الرواية المسرحية والرواية الاذاعية والقصة القصيرة ، سميتها رواية قصصية وكان يمكن أن أسميها أيضا الرواية الطويلة •

أما وقد حددنا ما كنا نريد تحديده من ناحية الاصطلاح فلنلق الآن نظرة على هذا الفن من الادب ، فن الرواية القصصية التى طغت فى عصرنا ـ كما

لا يخفى ـ على جميع شعب الانتاج الفكرى سواء فى ذلك المجلات او الجرائد او الكتب التى أصبحت معرضا لحسن الطبع والاخراج فى جميع لغات العالم النشيط • لقد أصبحت الرواية القصصية فى عصرنا فنـا قائما بذاتـه له عناصر استقلاله وله صيت لا يقل ذيوعه عن ذيوع صيت الشعر والبلاغة فى القرون الاولى ،واول من اعتنى بنشر هذا الضرب مـن الادب الاوروبيون فى عصور نهضتهم الفكرية ، ومنذ ذلك العهد لم يفتأ فن القصـة فى اوروبـا يتطور ويتبلور مع الايام حتى احتل المكانة التى نعرفهـا له اليـوم فى تلـك البلاد • على أن ظهور الكتب المختصة بالرواية القصصية قد تأخر عهده فى اللغة العربية الى الحرب الاوروبية الاولى ، بحيث صارت مهمة العرب فى هذا الفن مهمة لحاق بينما مهمة السابقين الاوروبيين والامريكان مهمة تطور وازدياد وابداع فى التجديد وكان ما تعلمون من تخلف فكرى عند هؤلاء ومن نهضة أدبية عند الاخرين وشعر الشرق العربى بهذا الضعف فكانت الاستفاقة الاولى التى دفعت الادباء الى الترجمة فى أواخر القرن الماضى وبـدأت حركـة ترجمـة الروايات القصصية فعلا فى اول هـذا القرن بصـورة محسوسة واضحة • وكان معظم من اضطلع بهذه المهمة وقام باعبائها فى بـلاد مصر وسـوريا من العنصر المسيحى أمثال نجيب الحداد ونيقولا رزق الله وغيرهما كثير • وظل المغرب العربى فى سباته الى يومنا هذا لانه لـم يشعر كما شعر اخوانـه فى الشرق بضرورة اقتحام فن القصة ، نعم المسألة كما قلت فى مستهل هذا الكلام مسألة شعور ••• اذ الشعور بالضعف يستفز الى الخروج من الضعف والشعور بالتخلف يدفع الى مقاومة التخلف والشعور بالموت يحبب الحيـاة ويجعل المحتضر يتعلق باهدابها ، شعر الشرق بتخلفه فى ميدان انتاج القصة فبدأ بالترجمة ونقل عن الفرنسيين والايطاليين والاسبـان والروس ثم لم تلبث ان ظهرت الرواية القصصية مؤلفة باللغـة العربيـة أصالة لا نقـلا • وكان اشهر زعماء النهضة الادبية فى الشرق جرجى زيدان بما أخرجه يراعه من القصص والروايات التاريخية التى مس بها جميع أطراف العالم العربى وما زالت رواياته تخرج فى طبعات حديثة تشوق القارىء وتستهويه • ثم ارتقى فن كتابة الرواية القصصية شيئا فشيئـا فى الشرق العـربى الى أن ظهرت الرواية الحديثة بفضل ظهور طبقة جديدة من أرباب القلم خـرجت بالقصة من طور السـرد التاريخى او الخرافـة الساذجـة الى طـور البحث والتعمق فى بحث خبايا النفس وما تنطوى عليه من عوامل وما يدعو ذلـك من ملاحظة ودقة ووصف •

هذه نظرة خاطفة كان لابد ان نلقيها على فـن القصـة فى الشرق وعـلى المراحل التى مرت بها الرواية القصصيـة فى الشرق العربى • مما يدفعنـا الى استخراج ما يجدر ان نستخرجه من عبرة فى هذه التجربة والعبرة كما تتوقعون هى أن فن الرواية القصصية يمر بمراحل وأن هذه المراحل حتمية قطعـا تتطلب التهيئـة والزاد والاستعـداد ويسمى الاوروبيـون هـذا بـ

(Le patrimoine littéraire) اى بما يمكن أن نترجمه بالتراث الروائى او التراث التقليدى الادبى الذى لا تضعه أمة كما تضع الام طفلها بل هو وليد الجيل والاجيال وهو عصارة ما تحمله الامم فى جوفها من نشاط ومن حركة ومن تراث أصيل ٠ويجدر أن نتساءل الآن هل ثمة فى تونس تراث ادبى يمكننا أن نعول عليه وهل وصلت أمتنا الى حد من النشاط ومن الحركة الفكرية حتى يمكن بواسطة هذا النشاط وهذه الحركة أن يقتحم ادباؤنا وارباب الاقلام عندنا فن الرواية القصصية ؟

**

لن آتي بجديد اذا قلت أن تونس كانت منذ القدم بلدا مخلصا للادب والفن ، يكفى أن نعلم أن المعالم المسرحية فى بلادنا تفوق فى عظمتها وركانة تأسيسها الهياكل الدينية القديمة ، لنجزم أن فن المسرحية الذى هو بمثابة اخ الفن القصصى قد ازدهر فى بلادنا الى حد كبير ، ولم يقف هذا الاخلاص عند حد القصص المسرحى بل تعداه الى كل انواع القصص والرواية ٠ وليس بعيدا عنا عهد كان للفداوى فيه شأن كما ليس بعيدا عنا عهد القصاصين الشعبيين الذين كانوا يملؤون الاسواق والمداشر والبطاح العامة فيتغنون بالقصص المنظومة يصحبونها بنقرات على البندير أو عزف على الرباب حلو النبرات عذب الرنين ليس بعيدا عنا عهد كان القاضى فيه رجلا ذا مكانة مرموقة اذا جلس على عرشه فى مقهى القرية سكت الناس ونظروا اليه فى خشوع منصتين ، وكانت لهذا الصنف من أدب القصة الشعبية مجتمعاته الحافلة وحلقاته الراتبة فى كل حومة من المدن وكل بلدة وكل قرية ، وكان من القصاصين من بلغت شهرته الآفاق لما كان يمتاز به من ثقافة طيبة وذكاء حاد وهيمنة على المستمعين وحسن القاء وتصنيف وتكييف ٠ من لا يذكر من آبائنا تلك الجلسات التى كان يستمع فيها الى القاص يسرد السيرة الظاهرية وتغريبة بنى هلال الحجازية والافريقية والسيرة العنترية وقصة الكاهنة وقصة بنت قصر الجم ، كل هذا الادب القصصى الزاخر ما زال عالقا باذهان الكثير منا ٠ وانما يجدر أن يدرس هذا الادب دراسة دقيقة ليمهد السبيل أمام من فى نفسه منا بذرة من الكفاءة وحسن الاستعداد ٠

المشكلة اذن ليست مشكلة فقر فى تراثنا الادبى بخصوص القصة وانما هى مشكلة معرفة ٠ نحن نجهل ادبنا ونجهل ما بانفسنا فكيف نقتحم كتابة القصة بهذا الزاد الضئيل نحن نكتفى بدراسة ادب القصة الانكليزى والفرنسى ، بل نحن نعرف عن هذا الادب ما يجهله الكثير من ابناء انكلترا وفرنسا ولكننا نجهل وجود القصة التونسية بل وننكر هذا الوجود ٠

ذكرت الساعة ان فن الرواية القصصية فن صعب المراس وان من يبرز فيه قليل وان هذه سنة فى كل الآداب وكل الاقطار ٠ وقلت ان الرواية

القصصية الناجحة لا تتولد الا عن عقلية موجودة موطدة الاركان هي عمل السنين والاجيال ، فهل تم هذا العمل في تونس عمل التهيئة والتركيز ؟ اعتقد أنه تم وان القصة التونسية لا تنتظر الا من يأخذ برقبتها وينزلها من عالم الافكار الى ميدان الحبر والورق ، نعم أعتقد هذا واومن به ايماني بنهضتنا الحالية وايماني بمستقبل هذه النهضة ، نحن ماضون في سبيل خلق الرواية القصصية التونسية ذات الموضوع التونسي والشخصيات التونسية لاننا نعيش اوان خلق القصة ، لان القصة الكامنة فينا هي التي تستحثنا على الاخذ بيدها واخراجها الى الوجود .

تمر البلاد التونسية في أيامنا بطور من حياتها تشتبك فيه الانقلابات بالانقلابات وتتلاحق وتؤتي أكلها انقلابات اجتماعية برزت منها شخصية جديدة هي شخصية المرأة التونسية التي ما كادت تخطو أولى خطواتها حتى قادتها الظروف الى الاخذ بنصيبها من الحقوق والواجبات التي سنها دستورنا وأقرها نظامنا . وقد ذكرت هذا الحدث العظيم على سبيل المثال ولا أراني في حاجة الى سرد الاحداث التي تطلع علينا كل يوم فأنتم تعيشون في معتركها مثلي وتقدرون مثلي ايضا مالها من وقع وبعد أثر في النفوس . واذا أثرت الوقائع في النفوس وخاصة في نفوس من نسميهم بالادباء كانت القصة ، نعم القصة في حياتنا اليومية فيما يجري أمامنا من احداث فيما تسجله مخيلتنا وما يجب أن يكتبه القلم أو ترقنه الالة الراقنة .حياة عراك بين القديم والحديث بين الرجعية والتقدم بين التقليد والتجديد وحياة صراع بين الحيوية والجمود بين كلمة الحق ورعود الباطل بين صرخة اليتيم الجائع ووقاحة النهم الذي لا يشبع من أكل ، نحن نعيش في كل هذا وذاك في ازدحام الاحداث وجموع الانجازات . نحن في اقوى واغنى عصور حيويتنا . أليس في هذا دعوة الى الكتابة والخلق ؟ أو نترك الاحداث تمر بنا سراعا دون أن نسجل للتاريخ ولابنائنا واحفادنا صورة لنهضتنا ونخلف لهم لوحة نرسم عليها بايدينا التي صنعت هذه النهضة ـ رسما شاملا واضحا دقيقا يحدث بنشاطنا ويثبت حيويتنا ؟ قلما مر شعب بما مررنا ولم ينتج . أيعقل أن نتسم بالعقم ونحن في عصر الخلق ... لا يعقل هذا ولا يمكن أن يعقل ، فما هي اذن الاسباب التي تقعدنا عن انتاج الرواية القصصية التي تتمخض في رؤوسنا ؟

لا مجال في هذا الحديث للتعرض الى ما سميناه بالعوائق التي تحول دون انتاج الرواية القصصية فسيطرق هذا الموضوع من أخذ على عاتقه طرقه من الزملاء . واذا أردت ان تكون كلمتي هذه متسمة بطابع التفاؤل فسوف اعرج على هذه العوائق الحائلة دون انتاج القصة تعريجا يتيح لي دحض الآراء التي تقول بهذه العوائق ، مم يشكو ادباؤنا ؟

فثمة من يقول في لهجة لا تخلو من التيه والانانية : « لمن أكتب ؟ » وكثيرا

ما يردف قائلا : « نعم ... لمن أكتب ؟ » فى لهجة لا تخلو هذه المرة من ثقة **الرجل بما يقول وتسأله أن يوضح رأيه ويفصح فاذا هو يرجمك بوابل من الحسرات عن جهل الشعب وسذاجة عقله . ويقول تخيل اننا معشر المثقفين لا تزيد نسبتنا على الثلاثة فى المائة او الاربعة فى المائة من مجموع سكان الجمهورية .. فمن تريد أن يقرأ مؤلفاتك ويتذوق ويستعذب فنك وسعة** خيالك لقد نسى صديقنا الاديب ان الشعب وان كان جاهلا نسبيا يقرأ **الصحف اليومية ويتقاطر على القصص الشرقية التى يلتهمها التهاما ويقرؤها جماعات وحلقات فى القرى والمداشر . يريد صديقنا من الشعب أن** يستعذب روائع فنه وبلاغة لغته وسعة خياله فلم لا ينزل الى الشعب يحدثه باللغة التى يفهمها لا باللغة الدارجة لان الكثير من المثقفين فى بلادنا قد شنوا حملتهم عليها وطووا الصفحة ولكن بلغة الجرائد والمجلات العادية . **فاذا قلنا هذا لصديقنا المؤلف المنكمش عن التأليف أرغى وازبد وصاح فى تيهه المعهود أنا لا اكتب للسوقة ولا ارضى أن ينشر كتابى الا على ورق ممتاز صقيل ».**

هذا الصنف من الادباء لا فائدة فى اطالة الحديث فى شأنه **وهو صنف المنكمشين القاعدين .**

وهناك صنف آخر هو صنف الممتازين : يقول لك فى حسرة ظاهرة **« ايه يا صديقى .. ان علينا رسالة لابد من تأديتها .. ولكن يجب أن نفكر فى اقتناء الخبز** وكسب الرزق والتاليف فى بلادنا لا يغنى ولا يسمن من جوع » وتنظر الى صديقنا الكاتب فاذا هو أنيق اللباس ، محمر الوجنتين **لا يبدو عليه أثر الهزال قطعا . فتعيد الكرة وتقول : ما يمنعك من نشر** قصتك على صفحات جريدة من الجرائد اليومية تخرجها فى حلقات متسلسلة **اذا كان الامر يتوقف على ضيق ما بيدك لنشر قصتك على نفقتك ؟ » وما ان** تنتهى من كلامك حتى تسمعه يقهقه متعجبا من سذاجتك وحمقك **ثم يقول : « وهل تعتقد ان الجرائد ستشترى قصتى بعدد سطورها ذهبا .. الجرائد ضنينة على الكتاب يا أخى ... واكثرها لا يدفع مليما مقابل بحث علمى** مدقق أو قصة أدبية رائعة » .. لو علم صديقنا بقصة «فان قوق» الرسام **العبقرى قضى** «فان قوق» ستة أيام متوالية فى بيته لم يأكل خلالها ولو رغيفا **من الخبز اليابس لفقره المدقع وفراغ جيبه وأخيرا دفعه الجوع الى طرق باب** صديق له عزيز عليه يستجديه ليأكل فما كان الصديق الا أن يقول لفان قوق : فى وسعى يا صديقى أن أسكنك فى بيتى وأغدق عليك من نعمى **ولكنى لن افعل حاشا أن تقترن العبقرية بالترف . وأنا أتوسم فيك العبقرية ولا أريد أن تتحطم يوما على يدى .. عش فقيرا يكتب لك الخلود** وغير فان قوق من العباقرة والعمالقة كثير .

بقي أن نتحدث عن صنف آخر من أدبائنا يمكن أن نلقبهم بالمكدودين او المنهوكين تسألهم عن القصة وعن كتابة الرواية القصصية فيجيبونك فى اضطراب اعصاب ظاهرة : « القصة ... وهل تركت لى الادارة ساعة أخصصها لتأليف القصة ؟ ولا يلبث أن يفلت من بين يديك ويغيب عنك فى سرعة البرق دون أن يسألك عن حالك وحال عيالك - وهذا صنف من الادباء لا لوم عليه ولا معول عليه أيضا لكن أيمنع هذا أن تكون الرواية القصصية كامنة فينا ؟

لا أعتقد وهنا سأسمح لنفسي واعتذر ان كنت أطلت عليكم فى حديث كنت أريده عجالة سأسمح لنفسي بالتعرض الى أصناف من الادب يمكن أن نعتبرها خطوة أولى وخطوة موفقة فى تونس نحو انتاج الرواية القصصية التونسية التى نؤمن بوجودها فينا وان لم تكن منشورة فى كتب معروضة فى السوق الادبية .

أعرف الكثير من أدبائنا اذا سألتهم عن الرواية القصصية لم يعرضوا عنك كما يفعل الذين تحدثنا عنهم سابقا بل هم يناقشونك ويحاجونك ويلقون التبعة فى شأن تخلف القصة فى بلادنا لا على أدباء - وهم أدباء - ولكن على الدوائر الرسمية التى انيطت بها عهدة النهوض بالادب فى بلادنا ، يقولون : طبعا نحن مقصرون ولكن هب ثمة فى تونس ما يشجع على الكتابة والتأليف .. ان دور النشر فى الشرق والغرب تكتظ بالناشرين الناشئين منهم والمتضلعين وهى تقبل حتى الضعيف من انتاجهم وبنشر هذا الانتاج يتحفز الكاتب لانتاج آخر وآخر من حسن الى أحسن حتى يصلوا بمؤلفاتهم الى ما نعتبره انتاجا جيدا . ولقد سمعنا أن عددا كبيرا من أدبائنا فى تونس يحتفظون فى خزائنهم بما لو طبع على الورق لوجدنا فيه الوفرة والجودة وامتلأت به مكتباتنا فى كامل تراب الجمهورية ، فهل فكر المسؤولون فى بلادنا فى بعث دار للنشر أو فى تشجيع من يريدون انشاء مؤسسة من هذا النوع ؟ المشاريع الاقتصادية على مختلف أنواعها تجد التشجيع والمساهمة الفعلية لدى الدوائر الرسمية فلم لا يكون نفس التشجيع ونفس المساهمة فى المشاريع الثقافية من هذا النوع ، فالثقافة كالاقتصاد تماما تخضع لمبدأ الاخذ والعطاء والبيع والشراء فاذا كثر الانتاج ارتفعت نسبة الاستهلاك ، والاستهلاك فى كلتا الحالتين لا يكثر ويتزايد الا اذا كان فى متناول المستهلك واذا كان يعتمد على توزيع منطقى منظم هذا ما يقوله بعض أدبائنا اوردناه هنا لا لاننا نوافقهم عليه أو نعارضهم فيه بل لاثارة المشكل تمهيدا لما يمكن أن يجرى من مناقشة بعد هذا الحديث .

وهناك صنف من الادباء يقول اذا سألته عن الرواية القصصية أنت تخلق مشكلة من لا شيء اولا لانك تعتقد اننا فى حاجة الى بعث القصة الطويلة فى بلادنا وتدعو لنشرها فى شكل كتب جميلة مسفرة منمقة ... كل هذا من

باب الشكليات ، القصة فى رؤوسنا وصدورنا ونحن مقدرون دورها الرئيسى فى رفع مستوى الثقافة عندنا واذا كانت هـذه العـوائق التى تحدثت عنها وأطنبت لم لا نبتعد عن المشـاكل باتبـاع طريـق آخر غير النشر لتزدهـر الرواية القصصية وتروج فى بلادنا ولو كان ذلك بصفة غير مباشرة ؟

الكثير من أدبائنا الذين لهم شغف بتأليف القصة لا يقفون عند العقبات ، يعوزهم المال لنشر مؤلفاتهم عن طريق الطباعة فينشرونها عن طريق المذياع ـ نعم ... نحن لا ندعى هنا ان دور الطباعة والاذاعة واحد فى نشر الادب والقصة خاصة ، فهذه تجلب النظر وتلك تعتمد على السمع ... وللقارىء امكانية المراجعة . والمستمع الى الاذاعة مجبر عـلى الانصات والمحـافظة عـلى سياق الكلام .. فالفرق بين القصة المنشورة والقصة المذاعة واضح لا محل هنا الى الخوض فى شأنه . ولكن وان اختلفت طرق نشر الرواية القصصية فى كلتا الحالتين فذلـك لا يمنـع من أن تكـون الاذاعة أداة صـالحة للنشر ولتشجيع الادباء على تأليف القصة تشجيعـا ماديا فمعنويا فى آن واحـد ، وكثير من الادباء قد لجأ الى هذا الحل بصفة مؤقتة فى انتظار ما نرجوه جميعا أى دار نشر تونسية ، ويمكنني أن أوكد لحضراتكم أن من لجأ الى هذا الحل كثير وان الاذاعة ما انفكت تشجع كتابنا على تأليف القصة بهذه الطريقة ، وهكذا ندحض الرأى القائل بان الرواية القصصية لا تـؤتى أكلهـا المادى الا بعـد السنين ولا تدر على مؤلفها بالمال الوفير الا بعـد الانتظـار الطويل والـلاى الشديد .

واصل هنا الى خاتمة هذا الحديث مؤكدا مرة أخرى اننا نجتـاز الآن فى تونس مرحلة حاسمة من حياتنا سواء كان ذلك فى ميدان الاقتصاد او الفكر وان هذه المرحلة مرحلة اعدادية أكثر منها مرحلة استثمار ما يبذل من جهود نحن نغرس اليوم لنحصد غدا أو بالاحرى ليحصـد غيرنا غدا . فاذا آمنـا برسالتنا الادبية ودخلنا معمعة الكتابة والتـاليف دون أن ننتظر لانتاجنـا الرواج اللائق به والمال الذى نستحقه فى مقابله هيأنا بذلـك مولد القصـة والرواية والادب الخيالى بصـورة عـامة فى بلادنا وتهيئة الرواية القصصية تكون عن طريق الرواية الاذاعية والرواية المسرحية والقصة القصيرة والحديث والبحث والوصف وشتى مواضيع الكتابة اذ الرواية القصصية خليط من هذا وذاك فهى وصف وبحث نفسانى وخواطر فلسفية وحوار وتنسيق بين النص والحوار . هى الحيـاة كما نلمسهـا ونشهـدها ونشعر بهـا ونتخيلها وهى الاشخاص الذين نصادفهم فى الطريق والاصدقاء الذين تجمعنا بهم السهرات وتربطنا بهم الفة الايام والسنين يجب أن نكتب .. أن نكتب فى كل المواضيع ويجب أن يقبل الناس على ما نكتب وان يكـون من بينهـم المحبـذ الراضى والمنتقد الساخط .. على أن يكون ذلك مدعاة للرواج وباعثا على الزيادة فى الانتاج . ولا يكون ذلك فى نظرنا لكبت القرائح والضغط على الحريات ، فمن

أراد الالتزام التزم ومن أراد التقليد قلد ومن أراد الخروج عن المألوف خرج ، الرواية القصصية لا تنبعث من صدر كاتبها الا اذا كانت صرخة صادقة أو ابتسامة عن رضى وطيب خاطر • فاذا لم نقتل الصرخة ولم نمح الابتسامة كانت الحياة وكانت الرواية القصصية • من كبار مؤلفي الرواية القصصية في الغرب والشرق يبدأ هكذا :

«ويقولون مع ذلك ان الله موجود وان العدل شيعة بين الناس لكل قسطه من المجموع •• فأين العدل وأين الله »•

افيفكر قارىء من القراء أو عمدة من أعمدة الدين أن يثور في وجه كاتب هذه الخواطر وان يدعو الناس الى رميه بالحجارة لانه ملحد في نظره •• لا •• لان فن القصة في تلك البلاد لا يعدو ان يكون فنا وللفنان فيه حرية الخلق وحرية الابداع •

ومن كبار مؤلفي الرواية القصصية من يبدأ هكذا :

« يعتقد الناس أنها مومس ساقطة سافلة وهي عند أشرف من مريم العذراء واطهر واطيب •• ومع ذلك فهي مومس •• » ثم يستطرد الكاتب في قصته حسب ما يمليه عليه شعوره وخياله في حرية مطلقة لا تخضع لقيد ولا تنحني أمام رقابة • وحتى الالتزام في الرواية القصصية مباح اذ حرية الكاتب فيه مطلقة والحرية مقدسة •

مررت يوما بدكان كغيره من دكاكين سوق المدينة ووقفت غير بعيد انتظر صديقا كنت معه على موعد وسمعت شيخا يحدث رجلا في مثل سنه عن انجازات الحكومة وعن التفاف الشعب حولها وعن المعجزة اليومية التي نحياها نعم كان يتحدث عن كل هذا والبشر يطفح على وجهه فدنوت منه لانصت الى ما يقول دون ان اشعره بذلك لئلا اقطع عليه سياق الحديث فافسد عليه وعلى نفسي •• وتبينت من كلامه الشيء الكثير وأوكد هنا أن هذا الكلام لو نشر او اذيع أو قدم على خشبة مسرحية لايعن ادباؤنا مثلما ايقنت في ذلك اليوم أن القصة كامنة فينا ، فينا جميعا في شيوخنا وشبابنا في نسائنا وبناتنا في صدورنا ورؤوسنا وفيما سماه الشيخ بنور الرحمة التي تشرف علينا من فوق وتحيط بنا من الجوانب••نعم كان الشيخ يقول : تبارك الله•• تبارك الله••لقد تبدل كل شيء في البلاد وبسرعة مدهشة••اربع سنوات فقط استطاعت البلاد خلالها ان تخلق أشياء من لا شيء وأن تنزع عن وجهها غشاء القدم والعفن وتسير في طريق النور في حزم وثبات وتبني صرح المستقبل حجرة حجرة من الاساس • فلاالسواعد مشلولة ولا القلوب الى يأس •• ما أجمل العيش يا أخي في بلد يشعر الانسان أنه بلده •• بلد كبلته ظلمة القرون وسلاسلها فبات يزيح الظلمة ويحطم السلاسل حلقة حلقة حتى كان له النصر وكان له العز وكانت له الحرية •• الحرية يا أخي••

أرانى أحلم كلما فكرت فى كل ما وقع ٠٠ والحرية فى كل شىء ٠٠ فى هذا التطور السريع الذى قلب مصير تونس ثلاث سنوات ٠٠ كل شىء مطبوع بطابع الحرية ٠٠ حتى الشوارع ٠٠ صدقنى يا أخى اذا قلت لك : لكأنى بالشوارع أجمل مما كانت عليه ٠٠ نعم انها تتسع والاشغال فيها كثيرة ٠٠ لكن ليس هذا ما أعنيه الشوارع القديمة نفسها أجمل مما كانت عليه ٠٠ لعل الوجوه الطافحة بالبشر قد طبعت عليها كل هذا الجمال ٠٠ والهواء نفس الهواء لكنه يمر على وجهى الآن صافيا عليلا وهذا العلم الخفاق الذى يستمع زرقة السماء كلما هبت الريح ٠٠ أليس كل هذا جميلا ٠٠ أليست هذه هى الحرية فى اجمل وابهى مناظرها ٠ تمر فى الطريق فاذا المذياع فى كل دكان وكل منزل يفعم الجو بأناشيد وطنية قومية حلوة النبرات حلوة الرنين كلها سحر وكلها نور تشيد برجالنا ونسائنا واطفالنا وتصدح بفرحة العيش وفرحة الحياة ٠٠ الحرية فى كل هذا ٠٠ وحتى بياض جدران المدينة الناصع تحت الشمس ينطق بالحرية ويشع على ما حوله باشعة الحرية ٠٠ هذا تريد ان اقول من هذا ٠٠ الكلام يصعد الى حلقى قلائد وعناقيد محملة كلها عطرا مضمخة بعسل الحياة الجديدة ٠٠ ومع هذا تريدنى أن أموت ؟ كيف أترك كل هذا ٠٠ أنا لا أريد أن أموت ٠ »

نعم قال الشيخ كل هذا لو لم يكن على مقربة منى لخلته شابا لم يتجاوز العشرين ٠٠ وما أعذب صرخة الحياة فى فمه : « أنا لا أريد أن أموت » قال الشيخ كل هذا بلغته وبلهجته وأسفت ان لم تكن معى مسجلة لاخذ عنه درره كما هى دون نقل او ترجمة ، ولكن حسبى ان الامر وامل ان أكون نقلت ما قاله الى حضراتكم صادقا أمينا فقد أثر فى كلامه أيما تأثير ولم أنم فى تلك الليلة الا بعد ان دونت فى مذكرتى ما علق بذهنى من تلك المحادثة بين شيخين فى دكان من دكاكين سوق شارع القصبة ، فلو أخذ كل منا القلم والورق كلما تدعوه الحاجة الى تدوين مذكراته وخواطره لالفنا الكثير من الروايات القصصية ، وما ذلك بالامر العسير ٠٠٠

يقول الغربيون عن الشرقى بصفة عامة انه لا يقدر أن يتم عملا اذا طال ٠ فهو يكره العمل المتواصل الدائب ولا يقدم الا على العمل الذى لا يحمله كثيرا من المشقة وهو عاطفى يخضع عمله الى مبدأ الاندفاع الذى يتبعه الفتور ٠ يقول الغربيون هذا وليسوا مخطئين تمام الخطأ فى هذا الرأى ٠ فنحن نكتب ولكن ماذا نكتب ؟ نكتب القصة القصيرة وننجح فى كتابة القصة القصيرة، ونكتب الرواية المسرحية والرواية الاذاعية وننجح نسبيا فى هذه وفى تلك ونحن نريد الربح ولكن اذا كان عاجلا ونريد الشهرة وان كنا نستحقها فى غالب الاحيان لان الشهرة لا تحصل الا بعد الجهد الشديد ومع تقدم العمر ٠٠٠ ونريد أن نكون كل شىء وفى نفس الوقت ونجهل التخصص

ونأباه • فكيف اذن تنتج الرواية القصصية المحكمة المنسقة المتماسكة الاطراف ؟

فالادب القصصي ــ أكثر من أي فرع من فروع الادب ــ ادب ملاحظة • فلا ننسى أن نتاج القرائح وبيان الاقلام ليس الا جانبا من مجال ما يجدر أن نعرف عن الناس أما الجانب الاكبر فهو كتاب في غير دور الكتب لم يجربه قلم ولم تنته صفحاته الى غاية كما يقول محمد تيمور •• ذلك هو الحياة هو الدنيا هو المجتمع الذى تتلاطم فيه أمواج البشر ، فاذا كنا مع الناس واندمجنا مع الهيئات وجعلنا من مجتمعنا مسرحا نحلق فيه ببصرنا ونتفطن الى ما يدور فيه من أحوال وأفعال كانت القصة • ولنا في روايات الدوعاجي من اذاعية ومسرحية ولنا في قصصه الكثيرة المنشورة والمغمورة ما يثبت اننا قادرين على الملاحظة وعلى تدوين ما نلاحظه تدوينا يمكن أن نقارنه بدون خجل وبدون عجب وغرور باسمى واروع ما كتب في فن الرواية القصصية في أى لغة من اللغات • وما من شك في أن الادب العربي الحديث بصورة عامة قد بلغ الان من الرقى المبلغ الذى يؤهله لان يكون أدبا عالميا في العصر الحديث كما كان أدبا عالميا في عصور العرب القدماء أيام العباسيين ، نعم أقول هذا وأؤمن به •• لنا الرصيد ولكننا لا ندرك استعماله •• القصة فينا ولكننا لا نريد أن نخرجها الى حيز الوجود ومع ذلك نعلل موقفنا بشتى العلل ونلقي التبعة على الغير لا على أنفسنا •• من ذلك أننا كثيرا ما نلقي التبعة على اللغة العربية فنرميها بالجمود ونقول العربية ليست لغة قصة وما ذلك الا لاننا نجهل الادب العربي • لقد استطاع الادب العربي في العصر العباسي أن يسيغ ثقافات أجنبية لم يكن للعرب عهد بها من قبل فاساغ الثقافات اليونانية والفارسية والهندية وأصبح أدبا عالميا بأوسع معاني هذه الكلمة لا يقارن في هذا الا بالادبين العالميين القديمين الادب اليوناني واللاتيني • ومع ذلك فنحن نظن وما زلنا نتحدث بان العصر الذى نعيش فيه كالعصور التى سبقت هي عصور ضعف ضعف فيها الادب العربي ضعفا شديدا بالقياس الى حياته في العصر العباسي القديم • وهذا رأى لا يثبت في نظرى أمام ما شهدناه في نصف القرن الاخير من خطوات واسعة اتاحت للادب العربي في الشرق ما لم يتح له فيما مضى وما لم يكن يخطر للماضين على بال ، وتبدو هذه الخطوات بارزة في انتاج الرواية القصصية وأورد هنا قولا مأثورا لعميد الادب العربي طه حسين انقله من مقال له عن الادب العربي الحديث وهو لعمري واضح لا يحتاج الى شرح • يقول طه حسين :

« قد أخذنا عن الغرب فن القصص كما يتصوره في هذا العصر الحديث ، ترجمنا أولا ثم قرأنا القصص في لغاته الغربية المختلفة ثانيا ثم أخذنا نقلد الغرب في قصصه وكنا مقلدين يظهر تقليدنا أول الامر ولكننا لم نلبث أن اصلنا هذا الفن في لغتنا وفي أدبنا وقد أصبح القصص العربي الحديث فنا

عربيا أصيلا لا يظهر فيه تقليد لهذا الكاتب او ذاك من الكتاب الاوروبيين وانما هو يصور الكتاب الذى ينشئونه كان القصص قد نشأ فى الادب العربى منذ ابعد العصور . »

هذا ما يقوله الدكتور طه حسين عن المصريين الشرقيين بصورة عامة فهل يدفع بنا هذا الضعف أو مركب النقص الى نكران هذه الحقيقة بالنسبة الينا ؟ أو هل الكاتب الغربى الذى قال بنشأتنا ـ وآسف أن غاب عنى اسم هذا الكاتب الآن وان بقيت ملاحظته عالقة بذهنى ـ قال :

« المغربى يكره العمل المتواصل الدائب فلا يتم عملا يتطلب منه كثيرا من المشقة ولا يرجو من ورائه كسبا عاجلا فهو عاطفى يخضع عمله الى مبدأ الاندفاع الذى يتبعه الفتور . »

قيل هذا عنا وليس من قاله مخطئا تمام الخطأ فى رأيه . فنحن نكتب ولكن ماذا نكتب ؟ نكتب القصة القصيرة وننجح فى كتابة القصة القصيرة ، ونكتب الرواية المسرحية والرواية الاذاعية وننجح نسبيا فى هذه وفى تلك نحن نريد الربح ونريد الكسب لكن اذا كان عاجلا ، ونريد الشهرة وان لم نستحقها فى أغلب الاحيان اذ لا تنال الشهرة الا بعد الجهد الجهيد ومع تقدم العمر ، ونريد أن نكون كل شيء فى آن واحد ونجهل التخصص ونأباه فكيف اذن ننتج الرواية القصصية المحكمة المنسقة المتماسكة الاطراف ؟ ثم كيف نكتب القصة ، ونحن لا نقرأ . فاذا كانت الرواية القصصية فنا يعتمد على الملاحظة فانه لا يكون الا عن توسيع المدارك بالاطلاع الدائب . فلابد لنا أن نلم من كل ولا يأتى فن بطرف اذا أردنا أن نؤلف الرواية القصصية لا نجفو العلوم الطبيعية والاقتصادية ولا نمل الدراسات الاجتماعية والنفسية ولا نقصر فى متابعة التطور الفكرى فى مناحى الثقافة المتحدة ، يجب أن لا نقنع باليسير .. بل يجب أن نقرأ وننتقى ما فيه الاصالة والجودة فى ادب القصة ومتى جمعنا بين المقروء والمشهود تسنى لنا أن نقف على حقائق الحياة وأن نعرف صور الناس فان هذا المزج من التجارب العلمية والدراسة الشخصية سيكون أكبر عنصر فى عملنا الفنى عند ما نعالج كتابة القصة والعالم الحديث سيتيح لنا فرصة نادرة لم تتح لكتاب القصة العرب فى العصور التى مضت وحتى فى نهضة الادب العربى فى زمان العباسيين . فقد كان الادب العربى فى عصوره الذهبية القديمة يمتاز بالاتصال بالثقافات الاجنبية واساغة هذه الثقافات كما أسلفنا ولكن أين وزن هذه الثقافات اذا قورنت بالثقافات التى نتصل بها فى هذه الايام . الحياة فى عصرنا تزخر بالآداب الانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والروسية بآداب لا تكاد تحصى لتنوعها وانتشارها امكننا الاتصال بها ونستطيع أن نترجم منها فننقل الينا هذه الثقافات على اختلافها بلغة عربية فصحى هى بين يدينا عند الطلب آلة مسخرة وآلة قادرة على أن تسبغ هذه الثقافات ، وأعود هنا الى

الدكتور طه حسين لاشاطره ذلك الايمان العميق بمقدرة اللغة العربية على الخلق والتطور والمرونة اذ يقول « العرب القدماء لم يكونوا يعرفون القصص كما نعرفه نحن هذه الايام. ولم يكونوا يحفلون بالقصص كما نحفل به نحن فى هذه الايام كانوا يقصون الاخبار القديمة ويخلطون بين القصص والتاريخ وكانوا يقصون الاساطير والخرافات ليجدوا فيها لهوا احيانا وحكمة أحيانا أخرى ويقصون الاعاجيب ليجدوا فيها اللهو ويستعينوا بها على قطع الوقت »

يقول عميد الادب العربى هذا بالنسبة للشرق العربى ونقوله نحن بالنسبة للمغرب الذى بدأ هو أيضا يشعر بنهضته الادبية شعورا واضحا والا فما هذه المنتديات وما هذه المحاضرات وما هذه البحوث التى نحن بصددها اذ أساس النهضة شعور بالنهضة ، نحن فى المغرب نتكلم اللغة العربية الفصحى ونتقن سبكها ونرغمها على الافصاح بما نشعر وقد ظهر هذا لا فى مؤلفاتنا الادبية فى النثر والامثلة هنا كثيرة نكتفى بسرد بعض من برز منها أمثال ابن جلون فى المغرب الاقصى والكثير غيره ممن أجهل أما فى تونس فلا فائدة فى التعريف بكاتب السد وبالطيب التريكى فى عدد عديد من قصصه الممتازة والطاهر قيقة فى قصصه الشعبية وفى قصة البلغة التى اشتهرت فى الاوساط الادبية ولو لم يتح لها أن تنشر الى يومنا ومحمد المرزوقى فى الجازية وغيرهم وغيرهم كثير ، قلت ظهر اتقاننا للغة العربية ومقدرتنا على سبكها وارغامها على الافصاح بما نشعر لا فى الادب المنثور بل فى دواوين شعرائنا التى تزخر بالمعانى الراقية الرقيقة والامثلة هنا أيضا لا تحصى ، فما يقعدنا اذن عن كتابة الرواية القصصية ؟ أمركب فينا تأصل يجعلنا نقبل استعمار الشرق والغرب معا ونؤمن بأسبقية هؤلاء وهؤلاء فى هذا الفن ؟ نحن نعيش فى القصة ونعرف شخصياتها كأننا تلك الشخصيات نفسها نمارس من أعمالها ما تمارس ويجوز علينا من أطوارها ما يجوز عليها. ولكننا لن نستطيع أن نخرج بهذه الشخصيات التى ترقص بين أعيننا وتملأ أذهاننا لا نستطيع أن نخرج بها من عالم الاطياف والاشباح الى عالم خفقات البشر وحركات الناس الا اذا آنسنا من أنفسنا استجابة للقصة ، وكثيرا ما تحصل هذه الاستجابة ولكننا نغتر بعدها فنمسك عن اغتنام الفرصة فى حينها فتفلت القصة من بين أصابعنا ، والاستجابة هنا كاستجابة الحامل عند المخاض الى وضع طفلها فان انكمشت وأبت عسر الوضع وطال المخاض ، ونحن حبالى طال المخاض بنا لانكماشنا وعدم استجابتنا لوضع القصة . ولقد اوردت هذا التشبيه لاعتقادى أن المسألة فى كلتا الحالتين مسألة خلق وخلق ثمين بديع ، فمن عالج كتابة الرواية القصصية لا يمارس شأنا من شؤون التسلية الرخيصة والتلهية الوضيعة ولكنه يحاول أن يستل من أسرار الحياة التى يشاهدها بعينيه ولا يفهم الحياة ولا يتفطن الى اسرار النفوس الا ذوو الفضل الذين يكرسون حياتهم فى خدمة الحق والخير والجمال ، فهذه هى الرسالة التى يجدر أن يؤديها فى بلادنا أصحاب الفكر وارباب القلم بمواجهة الرواية القصصية ومعالجتها معالجة

لا تقف دونها الصعاب والعقبات ، أما مشكلة فليست بمشكلة بالمعنى الـذى يقعدنا عن التأليف ، يكفى أن نؤمن من اليوم اننا جيل زرع لا استثمار جيل يوطد لغيره السبيل ينيره دون أن يتمتع هو بالمشى عـلى تلـك السبيل وفى تلك الانوار يكفى أن نؤمن بهذا او بالرسالة الملقاة على عاتقنـا لخـوض غمار القصة ولو كتب لها أن تمكث فى خزائننا دهرا بل أن تبعث الى الوجود •

يكفى أن نتساءل لمن يكتب الاديب المتخصص فى فن القصـة ؟ وان نجيب عن هذا السؤال والادب باعتباره مادة مقروءة يتصل اتصالا وثيقا بحالة القراء شأنه فى ذلك شأن كل انتاج يتصل بحالة المستهلك • يكفى أن نجيب عـلى سؤالنا بهذه الصورة لنعرف أن المسألة مسألة نهوض ومعركة ضـد التخلف وأن المسؤولية أكبر من أن تحصر يجب أن نكتب لسواد الشعب الذى يريد أن يقرأ فى العصور الحديثة وقد يعالج الادب موضوعات شعبية وخـاصة فى القصة وقد يصور أحداثا مما تقع فى صميم البيئات السوقية من الشعب وقد يحلل نفوسنا ينتزعها من أعماق المجتمـع الفقير ولكن دقـة التحليل وعمق التفكير وقوة التعبير تجعل من تلك القصة تحفة فنية رائعة خالدة لا يرتفـع الى الاحاطـة بمراميهـا الا العقـول المثقفة ، ولنـذكر هنـا روايـات بالزاك ودستويفسكى و قوركى وموليار وغيرهم ممن خلد التاريخ اسماءهم لنعلم أن القصة فى بلادنا لن تكون أداة لهو وتسلية بل ستكون حتما اداة غوص فى أعماق الحقائق الانسانية واذا قيل للاديب أكتب القصة للشعب مع احتفاظك بكل مقومات الادب الحق فانما ذلك صـوت الـواجب يستفزنا جميعا لخـدمة شعبنا بصور عامة شاملة يستفز الاديب ممثل الفكر فينا هو الموجـه الحقيقى لاقدارنا •

وهنـــا أختـــم هـــذا الحـديث الذى أردت أن يكـــون مجمـوعـة من الخواطر ولم أفكر لحظة فى أن أجعله خطبة وعظ من طـول الانصـات ولست أشك فى أن وقتا سيأتى غدا أو بعد غد فى أيام قريبة أو بعيدة نجتمع فيه كهذه الليلة لنحاسب انفسنا على الوعود التى نقطعها اليوم او نحتفل معـا ببروز اول انتاج ممتاز فى الرواية القصصية المغربية ••• فلنتفاءل خيرا •

مصطفى الفـارسى

أغنية الغروب

شعر : عبد المجيد بن جدو

يَا حَبِيبِي كُلٌّ مَا فِي الكَوْنِ أنْغَامٌ وَفَنٌّ
مُهَجٌ سَكْرَى وَقَلْبٌ فَرِحٌ شَادٍ يَحِنُّ

***

يَا حَبِيبِي أنَا مَنْ فِي الحُبِّ أبْلَيْتُ الشَّبَابَا
وَشَرِبْتُ الكَأسَ مُلْتَاعاً وَأرْدَيْتُ العَذَابَا
وَبَثَثْتُ اللَّيْلَ أحْلامِي وَأشْوَاقِي فَشَابَا
أنَا ألْهَبْتُ فُؤَادِي الصَّبَّ تَحْنَانًا فَذَابَا
غَيْرَ أنِّي اليَوْمَ لِلذِّكْرَى وَبَلْوَاهَا أحِنُّ
مَا ارْتَوَى قَلْبِي مِنَ الحُبِّ وَلاَ يُرْوِيهِ ظَنُّ

***

يَا حَبِيبِي أنَا مَنْ بِالحُبِّ وَالاحْلام غَنَّى
أنَا مَنْ أوْدَعَ فِي الانْسَام بِالاصَالِ لَحْنَا
أنَا مَنْ أبْدَعَ لِلاشْوَاقِ ألْوَاحًا وَفَنَّا
أيْقَظَ الإلْهَامُ رُوحِي أنَا قَلْبٌ يَتَمَنَّى
أنَا مَنْ أسْمَعْتُكَ الشَّكْوَى (لَدَى صَمْتِي) تَئِنُّ
وَدُمُوعِي حَدَّثَتْ إلْهَامَكَ الغَافِي تَرِنُّ

***

أنَا احيَا لَسْتُ أدْرِي أيَّ مَعْنًى لِحَيَاتِي
لاَ وَلاَ يَدْرِي فُؤَادِي غَيْرَ تِلْكَ الذِّكْرَيَاتِ
ذِكْرَيَاتٌ بَدَّدَتْهُ وَطَوَتْ فِيهَا شَتَاتِي

وَرَمَتْ بِي فِي لَظَاهَا وَتَلاشَت عِنْدَ ذَاتِي
مُهْجَتِي ظَمْآى وَيُرْوِيهَا مِنَ الأَنْغَامِ لَحْنُ
شَعَّ فِي عُمْرِي سَنَاهُ وَفُؤَادٌ لَيْسَ يَحْنُو

∴

انَا مُنْسَابٌ مَعَ النَّهْرِ مِنَ العَهْدِ البَعِيدِ
انَا مَنْ رَدَّدَتِ الأَطْيَارُ فِي الغَابِ نَشِيدِي
انَا فِي الدُّنْيَا قَدِيمٌ بِدْتُ فِي ثَوْبِي الجَدِيدِ
انَا مِنْ لُقْيَاكِ يَا أَحْلامُ مِنْ دَهْرِي بَعِيدِ
خَطَرَ الحُبّ عَلَى قَلْبِي وَمُوحِي الحُبِّ حُسْنُ
فَإِذَا المُلْهِمُ فِي الاضْلاعِ أَنْغَامٌ وَفَنُّ

∴

يَا حَبِيبِي بَدِّدِ الْيَأْسَ بِأَلْحَانٍ عِذَابِ
لَمْ يَكُنْ عَيْشُ الفَتَى وَهْمًا وَلاَ طَيْفَ سَرَابِ
نَحْنُ نَمْضِي فِي غَدٍ كَالنُّورِ فِي صُلْبِ الضَّبَابِ
فَاشْرَبِ الكَأْسَ بِلاَ عَدٍّ وَمِنْ غَيْرِ حِسَابِ
هِيَ بِنْتُ الكَرْمِ فِي عُنْقُودِهَا المَخْمُورِ تَرْنُو
قَبْلَ قَارُونٍ وَمُوسَى عُمْرُهَا فِي الاسْرِ قَرْنُ

∴

قَبْلَ عَادٍ وَثَمُودٍ عَمَّرَتْ فِي القَيْدِ أَلْفَا
فَأَعَادَتْ مِنْ دُنَى المَاضِي إلى دُنْيَايَ إِلْفَا
وَبِهَا وَجْهُ التِي أَهْفُو لَهَا يَبْدُو وَيَلْقَى
فَشَرِبْتُ الْكَأْسَ مِنْ أَجْلِكَ تَحْنَانًا وَزُلْفَى
لَيْسَ مَا بِالكَأْسِ يُغْرِينِي وَلاَ طَعْمُ وَلَوْنُ

إنَّمَـا يُقْصِيكِ ــ خَلْفَ الكَأْسِ ــ آفَاق وَبَـونُ

***

يَـا حَبِيبِـي هَـلْ سِـوَى الكَأْسِ مِـنَ الخَوْفِ أَنِيسُ
هَـلْ سِـوَى أَطْيَـافِ مَنْ أَهْـوَاهُ ــ يَا قَلْبُ ــ جَلِيسُ
لَـمْ يَـزَلْ كَـالامْسِ، كَـالعَهْـدِ بِـهِ ظَبْيًا يَمِيسُ
لَـمْ يَـزَلْ مِـنْ صَوْتِـهِ الحُلْوِ بِآفَـاقِي حَـسِيسُ
قَـالَ مَـنْ يَجْهَـلُ أَنِّـي عَـاشِقٌ ؟ مَسَّهُ جِـنُّ
دُونَ حُبِّـي ــ وَالَّـذِي أَلْقَـى به ــ قَيْدٌ وَسِجْـنُ

***

رَدَّدَتْ فِـي خَـاطِـرِي أُنْشُـودَةُ الحُـبِّ السَّحِيقِ
فَتَلَمَّسْـتُ بِـلاَ جَدْوَى إِلَى الامْسِ طَـرِيقِـي
أَيُّ نَـارٍ مِثْـلُ نَـارِي وَحَـرِيقٌ كَـحَـرِيـقِـي
أَنْتِ يَا نَفْسُ مِنَ النَّوْمِ الَّـذِي طَـالَ أَفِيـقِـي
لَيْـسَ لِلحُـبِّ مَـدًى يُـدْرَكُ مَـا لِلحُبِّ سِـنُّ
لاَ وَلاَ يَـذْوِي ــ لِمَـنْ عَـبَّ شَرَابَ الحُـبِّ ــ غُصْنُ

***

انَـا مَنْ ضَيَّعْتُ فِـي بَلْوَاكَ أَيَّـامِـي وَعُمْـرِي
وَبِـأَلْحَـانِـي تَغَنَّـى الطَّيْرُ مِنْ وُرْقٍ وَقُمْـرِي
يَـا حَبِيبِي أَنَـا مَنْ قَدْ جَهِلَ الغَـافِلُ أَمْـرِي
جَفَّـتِ الكَأْسُ فَـلَـمْ تَبْقَ بِهَـا قَطْرَةُ خَمْـرِ
كِـدْتَ يَـا قَلْبُ، بِمَـنْ ضَاعَـتْ مَـعَ الامْـسِ تُجَنُّ
لَـمْ تَـعُـدْ تُـدْرِكُ (مَنْ أَحْبَبْتَهَـا) عَيْـنٌ وَأُذْنُ

عبد المجيد بن جدو

الشعـر الملحـون [1]

نشأته، وتطوره، ومكانته، ومصطلحاته، واوزانه

بقلم : محمد المرزوقي

يطلق بعض الناس على الشعر الملحون اسم الادب الشعبي او الشعر الشعبي وكلا الاطلاقين خطأ يجب تصحيحه .

فالادب الشعبي هو ذلك الادب الذي استعار له الشرقيون من اروبا كلمة فولكلور على خلاف فى صحة اطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالادب الشعبي بالضبط وقد حاول بعض المؤلفين جعل تعريف للادب الشعبي يشمل ما تشمله كلمة فولكلور وأحسن تعريف لذلك ما ضبطه الدكتور حسين نصار بقوله : الادب الشعبي هو الادب المجهول المؤلف العامى اللغة المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية .

ولا يخفى أن هذا التعريف يشتمل على اربعة شروط هى جهلنا لمؤلفه وعامية لغته ومرور أجيال عدة عليه حتى يصبح من كيان الشعب ووصوله الينا بالرواية الشفوية .

وبالنسبة الينا نحن العرب يتمثل الادب الشعبي عندنا فى هذه الاغانى التى تردد فى المواسم والافراح والاتراح وفى المثل السائر وفي اللغز وفى هذه النداءات المسجوعة والمنظومة على السلع وغيرها وفى النكتة والنادرة وفى الاساطير التى تقصها علينا العجائز وفى القصة الطويلة كألف ليلة وليلة وفى السير كسيرة بنى هلال وفى التمثيليات التقليدية كلعبة ـ أم رجمونة ـ الخ . . . .

واقدم ما عرف من الادب الشعبي المنظوم هو تلك الاراجيز المروية عن قدماء أجدادنا والتى اختلطت فيها بعض اللهجات العامية بالفصحى وقد دون لنا منها القدماء كثيرا من الامثلة .

وقد تفنن العرب فى الاراجيز فنظموها بمختلف اللهجات القبلية كما تفننوا فى ميزانها فجعلوه تاما أى متركبا من ستة اجزاء او تفعيلات كالاراجيز المعروفة عندنا فى المنظومات النحوية والفقهية وجعلوه مجزوءا أى من أربع تفعيلات مثل :

---

(1) نص المحاضرة التى ألقاها الاستاذ محمد المرزوقى بدار الثقافة بالعاصمة يوم الجمعة 22 مارس 1963

قَيَّدَهُ الحُبُّ كَمَـــا   قَيَّـدَ رَاعٍ جَمَـــلاَ

وجعلوه مثلوثا أي متركبا من ثلاث تفعيلات مثل

إنَّـكَ لاَ تَجْنِـــــي   مِـنَ الشَّـوْكِ العِنَـبْ

وجعلوه منهوكا أي متركبا من تفعيلتين مثل

يَـــالَيْتَنِــي   فِيهَـــا جَـــذَعْ

وهذا ما جعل شعراء الفصيح ينفرون من هذا النوع من الشعر ويطلقون عليه اسم ـ حمار الشعراء ـ أى أن كل أحد يستطيع النظم فيه وهو شعر العامة لا شعر الخاصة وقد استعمله العرب الاول فى الافراح وفى هدهدة الاطفال وفى متح الماء من الابار وعند القيام باعمال البناء او الحفر او الحصاد وغيرهـا وفى الحداء بالابل وفى النـواح عـلى الميت وفى الحرب وحتى فى التسول بما يشبه الى حد بعيد هذه الاغانى التى نسمعها فى باديتنا اليـوم فى مثل هذه المناسبات فى معانى الكلمات وحتى فى وزن الابيات ولو أردنا التنظير لطال بنا الحديث فى هذا الموضوع الذى جمعت منه شخصيا نماذج طريفة أتمنى أن يسعفنى الحظ بنشرها فى يوم من الايام ٠

واذا كان اسم الادب الشعبى لا يصلح أن يطلق على الشعر الملحون فكذلك اسم الشعر الشعبى لا يصلح أيضا أن يطلق على الشعر الملحون ، لان وصف الشعر بالشعبى يحدد الموضوع ويقصره عـلى هـذا الشعر المجهول المؤلف الذى توارثته الاجيال بالرواية الشفوية أي الذى تغنى بـه النـاس طويـلا وتناولته الروايات بالتبديل والتغيير والتهذيب بما يناسب روح الشعب وفن الشعب ويدخل فى هذا الباب هذه الاغانى التى نسمعها أحيانا يرددها الناس مثل الاغانى التى ترددها الامهات لاطفالهن ومثل بعض (تعليلات) الاعراس والختان

أما الشعر الملحون الذى نريد أن نتحدث عنه اليوم فهو أعم من الشعـر الشعبى اذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سـواء كان معـروف المؤلف او مجهوله وسواء روى من الكتب او مشافهـة وسـواء دخـل فى حياة الشعب فاصبح ملكا للشعب Domaine Public او كان من شعر الخواص ووصف الشعر بالملحون اولى عندى من وصفه بالعامى فهو من لحن يلحن فى كلامه أى انـه نطق بلغة عامية غير معربة ٠ أما وصفـه بالعامى فقد ينصرف معنى هـذه الكلمة الى عامية لغته وقد ينصرف الى نسبته للعامة فكان وصفه بالملحـون مبعدا له من هذه الاحتمالات ٠

نشأة الشعر الملحون

أشـرت فى السـابق الى بعض الاراجيـز المنظـومة بلهجـات غيـر فصيحـة فى العصر الجـاهلي وأنا أعتبر هـذه اللهجـات مبـدأ للحن الذى حدث فى اللغة فهى لهجات خاصة فصيحة عند أهلها وان اعتبرناهـا نحن غير فصيحة الا انها غير ملحونة واللحن الذى نريد التحدث عنه هـو

النطق باللغة العربية الفصيحة بلهجة غير معربة أعنى مخالفة قواعد الاعراب المعروفة فى العربية الفصحى ·

وهذا اللحن لا نستطيع تحديد الزمن الذى حدث فيه اذ أن الروايات التى وصلتنا تقص علينا أن اللحن فى اللغة قد سمع فى عهد النبىء صلى الله عليه وسلم وفى العهود التى تلت ذلك العهد بيد أننا نرجح أنه دخل اللغة الفصيحة وهى لغة الحجاز التى نزل بها القرآن الكريم منذ العهد الذى اختلط فيه العرب بالفرس والروم والاحباش سواء من طريق التجارة أو طريق النفوذ السياسى وهذا الاختلاط سابق لعهد النبىء على أننا نؤمن بان هذا اللحن كان قليلا جدا بحيث لا يؤبه له وكان اللحن موضع سخرية سامعيه وتندرهم مما جعل المتحدث بالفصحى يحافظ على قواعد النطق الفصيح ويحاذر سقطات اللسان ويدلنا على سقوط مكانة اللاحن عند العرب ما روى أن النبىء صلى الله عليه وسلم سمع متحدثا لحن فى كلامه فقال لاصحابه : ـ ارشدوا أخاكم فقد ضل ـ وروى أن عمر رضى الله عنه كان يحذر من اللحن ويؤدب عليه وروى أيضا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك الاموى كان يعير فى شبابه باللحن فى كلامه مما جعل والده يشتد فى تعليمه الفصاحة وتقويم لسانه خوفا من عدم رضى العرب بخليفة لحان ·

وبالرغم من اختلاط العرب بالامم المجاورة من فرس وروم وهنود واقباط وبربر أيام الفتوحات الاسلامية الاولى فان اللحن بقى قليلا كامل مدة الدولة الاموية التى كانت تحافظ على العصبية العربية فتخصص الدواليب الحكومية والمراكز السياسية بالعرب ولكن هذا اللحن انتشر كثيرا أيام الدولة العباسية التى شركت الفرس والترك فى الحكومة ويظهر ان هذا التشريك كان له أثر فى انتشار اللهجات العامية وظهور الشعر الملحون ·

واول ما وصلنا من هذا الشعر يرجع الى العصر العباسى الاول وعلى التحديد فى خلافة المعتصم بن الرشيد فى اول القرن الثالث للهجرة فقد روت لنا الكتب نظما عاميا للخليفة المعتصم نفسه فقيل انه طلب يوما كلب صيد من أحد قواده الاتراك المسمى ـ أشناس ـ فارسل اليه هذا كلبا اعرج فرده المعتصم اليه ويظهر أن أشناس كان لا يعلم بعرج الكلب وظن أن هذا العيب أصابه عند الخليفة فكتب أشناس الى الخليفة

الكَلْبُ أخَذْتَ بجَيِّدْ مَكْسُورَ رِجْلٍ جِبْتْ
رُدَّ جَيِّدْ كَمَا كَلْبُ كَمَا كُنْتَ أخَذْتْ

فاجابه الخليفة بقوله :

الْكَلْبُ كَانَ يَعْرُجْ يَوْمَ الَّذِي بِهِ بَعَثْتْ
لَوْ كَانَ جَاءَ مُجَبَّرْ اجْبُرْ رِجْلَ كَلْبٍ أنْتْ

ولا يخفى ما فى بيتى الخليفة من تعريض ومن محاولة تقليد لهجة غلامه التركى ٠

وانتشر اللحن بعد ذلك انتشارا كبيرا لا فى الاطراف البعيدة للدولة العربية بل حتى فى الجزيرة العربية نفسها وهكذا ظهر الشعر الملحون عند القبائل العربية المختلفة ووصلتنا منه نماذج ترجع الى القرن الرابع للهجرة سواء فى القبائل التى تعيش فى الشرق او فى الاوساط العربية التى كانت تعيش فى افريقية او فى الاندلس ٠

وهذه النماذج منها ما سماه مؤرخو الادب بالقصيد الزجلي كشعر الاعراب الوافدين على افريقية من هلال وسليم ومنه ما سموه بالزجل كالشعر الذى روى عن الاندلسيين واشبه فى موازينه الموشحات ٠

أقسام الشعر

وما دمنا بصدد الحديث عن هذا اللون من الشعر المسمى بالملحون فلنتعرض الى ذكر بعض أقسامه عند القدماء ولو باشارة خاطفة ٠

ان الشعر بصفة عامة يفرعه أصحاب هذا الفن الى سبعة فروع او أقسام منها ثلاثة لا تكون عندهم الا باللغة الفصحى وهى القريض والموشح والدوبيت وذلك بغض النظر عن الخرجة المعروفة فى الموشحات الاندلسية التى تكون أحيانا عامية او من لغة أجنبية والفروع الاربعة الباقية منها ما يكون عاميا صرفا ومنها ما يكون خليطا بين العامية والفصحى ٠

١ ــ واول هذه الاقسام ــ المواليا ــ التى يقال أن أول من اخترعها أهل مدينة واسط بالعراق كانوا يتغنون بها عند قيامهم باعمالهم وقيل ان اول من تغنى بها هى احدى جوارى البرامكة كانت تندبهم اثر نكبتهم بهذا اللون من الشعر العامى وتختم انشودتها دائما بقولها يامواليه ومن هنا جاء اسم هذا النوع ٠ ويقول النقاد ان هذا النوع ينظم غالبا على البحر البسيط وتتركب كل مقطوعة منه من أربعة أشطار أو اغصان متحدة القافية مع التزام الحرف السابق للروى فى الغالب مثل :

يَـوْمَ الْهَـوَى كُـلْ مَـنْ لُـورِدْفْ يَـنْفُشْ بُــو
وَكُلَّمَـا جَـازْ عَـلَى عَـاشِقْ تَحَـرَّشْ بُــو
وَفِي الْمَطَـرْكُـلْ مَـنْ لُو سَـاقْ يُدْهِـشْ بُو
وَتَهْلَـكْ أَذْيَـالْ مَـنْ سَاقُو نَبَتْ عُشْبُــو

وكلمة بو الاخيرة بمعنى به وترون انه التزم حرف الشين قبلها فى الاشطار الاربعة ومعنى الاشطار ان كل من لها ساق جميلة تعريها فى

المطر فتفتن بها الناس أما من طال شعر ساقها فلا تعريها ولو خسرت ذيل كسائها ٠

2 ـ القسم الثانى من الملحون هو ـ الكان وكان ـ وقد ابتكره أهل بغداد وخصصوه بنظم الحكايات والخرافات ولذلك سموه بالكان وكان وقد انتشر هذا النوع بين الناس فاستعملوه فى مواضيع اخرى وافتتن به الصوفية والوعاظ فنظموا شطحاتهم ووعظهم على أوزانه ٠ والقصيد من هذا النوع يحتفظ دائما بوزن واحد فيكون الشطر الاول فى الغالب أطول من الثانى مع التزامهم بجعل الحرف السابق للروى حرف علة مثال ذلك :

تَاقَاسِيَ الْقَلْبْ مَالَكْ تَسْمَعْ وَمَا عِنْدَكْ خَبَرْ
وَمِنْ حَرَارَةْ وَعْظِي قَدْ لاَنَتِ الاحْجَارْ
أفْنَيْتَ مَالَكْ وَحَالَكْ فِي كُل مَا لاَ يَنْفَعَكْ
لَيْتَكْ عَلىَ ذِي الحَالَه تُقْلعْ عَنِ الاصْرَارْ
تَحْضَرْ وَلَكِنْ قَلْبَكْ غَايِبْ وَذِهْنَكْ مُشْتَغِلْ
فَكَيْفَ يَا مُتَخَلِّفْ تُحسَبْ مِنَ الحُضَّارِ

3 ـ القوما وهذا النوع أيضا اخترعه أهل بغداد يتغنون به فى ليالى رمضان لايقاظ الناس الى السحور ومن هنا جاء اسمه وهذا النوع قسمان القسم الاول يتألف دوره من اربعة اغصان ثلاثة منها متحدة القافية والرابع تهمل تقفيته وهذا الرابع هو الغصن الثالث مثاله قول صفى الدين الحلى :

لاَ زَالَ سَعْدُكْ جَدِيدْ   دَايِمْ وَجَدُّكْ سَعِيدْ
وَلاَ بَرِحْتَ مُهَنَّا   بِكُلِّ صَوْمٍ وَعِيدْ

فِي الدَّهْرِ أنْتَ الْفَرِيدْ   وَفِي صِفَاتِكْ وَحِيدْ
فَالحَقُّ شِعْرٌ مُنَقَّحْ   وَأنْتَ بَيْتُ الْقَصِيدْ

والقسم الثانى من القوما يتركب دوره من ثلاثة أغصان متفقة القافية أما ميزانها فمتدرج الاول أقصر من الثانى والثانى أقصر من الثالث مثاله قول الحلى ايضا :

أيْ قَلْبْ دَعْهُمْ
إيشْ تَرَى أوْقَعَكْ مَعَهُمْ
انْكَفْ عَنْهُمْ قَبلْ مَا تَظْهَرْ بِدَعْهُمْ

لَـــوْلاَ طَمَعْهُـــمْ
بَـــانْ قَلْبِي مَـــا يَدَعْهُـــمْ
مَا خَالَفُونِي وَأَظْهَرُوا فِيَّ بِـدَعْهُـــمْ

وهذه الاقسام الثلاثة من الملحون ما زالت معروفة فى الشرق العربى الى اليوم على الاخص النوع الاخير من القوما الذى ابدع فيه المرحوم محمود بيرم التونسى ما شاء له الابداع • أما عندنـا فى المغرب العربى فيوجـد بعض أشباه للنوعين الاولين لكن اسماءها تختلف فالمواليا مثلا تشبه لحد ما نوع العروبى عندنا والكان وكان تشبه فى ميزانها القسيم المثنى أما القومـا فـلا اعرف نظيرا لنوعها الثانى فى موازيننا وغالب مـا عندنا من الشعر الملحون يرجع فى موازينه الى الزجل الاندلسى والى القصيد الزجلى الاعرابى •

4 ـ النوع الرابع من الملحون عند النقاد هو الزجـل والزجـل فى اللغـة الصوت وقد ابتدعه الاندلسيون ويمتاز هذا النوع بتجدد اوزانـه وتعـدد قوافيه ويقسمه النقاد الى قسمين القسم الطبيعى المعتاد وهو الذى يستخدم اللغة العامية استخداما مطلقا والقسم الثانى هو الذى يجمع بين الفصيح والدارجة ويسميه الزجالون بالمزنـم أى المستلحـق للزجل لا الاصيل وهذا النوع يحتقره الزجالون •

والزجل الاندلسى ليس شعرا شعبيا بالمعنى الصحيح لانه من انتاج طبقة على حظ عظيم من الثقافة ولغته خليط بين فصيح وعامى فى الغالب وهـو متأثر بالقصيدة والموشحة الفصيحة وهو بعبارة أدق صنو الموشح ورفيقـه حتى فى تاريخ نشأته وقد حدد الدكتـور الاهـوانى فى كتابـه الزجل فى الاندلس نشأة الزجل باواخر القرن الرابع الهجرى وهو ما يشير اليه أغلب مؤرخى الآداب • أما ابن خلدون فيرى أنه نشأ بعـد الموشـح وعـلى غراره ولذلك ماثله غالبا فى اوزانه • وصفى الدين الحلى يرى انه امتـداد طبيعى للقصيد الفصيح الذى عقبته القصيدة الزجلية المنظومـة على عروض العرب ولو أن لغتها عامية وعقبت القصيدة الزجلية هذه الازجال المختلفة القوافى والاوزان فقال « اول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وابياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا تغـايره بغير اللحـن واللفـظ العامى وسموها القصائد الزجلية ثم عدلوا عن الوزن الواحد الى مقطوعات مختلفة القوافى والاوزان » •

ورأى الحـلى هـــذا مردود لانـه مـن المتفـق عليـه ان الازجـــال المختلفـــة القـــوافى والاوزان أول مـا عـــرفت فى الانـــدلس فى زمـن لـم يعـرف فيـه المغرب العـربى ولا الانـدلس القصيـــدة الزجليـة التى دخلت الى المغرب مـع اعراب هـلال وسليم منتصف القرن الخامس اللهم الا أن يقال ان الحلى قصد من كلمة الزجل الشعر الملحون بصفة عامة وسيأتى

أن الملحون المعروف اليوم يرجع فى موازينه الى هذين اللونين أى الى القصيدة الزجلية والى الزجل الاندلسى ·

وللزجل الاندلسى مثل الموشح لونان ·

الاول ـ ما له طالع وادوار تختم بخرجات تتفق قوافيها مع قافية الطالع ويسمى الكامل مثال ذلك قول ابن قزمان الاندلسى :

صرت عازب وكان لعمرى صواب لس نزوج حتى يشيب الغراب

أنَا تَايِبْ يَالِسْ نَقُولْ بِزَوَاجْ وَلاَ جَلْوَهَ وَلاَ عَرُوسْ بِتَاجْ
لاَ رِئَاسَهَ غَيْرَ اللَّعِبْ بِالزُّجَاجْ وَالْمَبِيتْ بَرَّه وَالطَّعَامْ وَالشَّرَابْ

واللون الثانى ـ ما كان له ادوار تختم بخرجات او مكبات متحدة القافية الا انه بدون طالع ويسمى الاقرع مثاله قول مدغليس الاندلسى :

وَرَذَاذا دَقّ يَنْزِلْ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ يَضْرِبْ
فَتَرَى الْوَاحِدْ يُفَضَّضْ وَتَرَى الآخَرَ يُذَهَّبْ
وَالنَّبَاتْ يَشْرَبْ وَيَسْكَرْ وَالغُصُونْ تَرْقُصْ وَتَطْرُبْ
وَتُرِيدْ تَجِي إِلَيْنَا ثُمَّ تَسْتَحِي وَتَرْجَعْ

ولا يخفى عليكم قرب الشبه بين الزجل خصوصا اللون الاول منه وبين بعض أنواع الملزومة عندنا · والشبه يعظم بين الزجل والنوع المعروف عندنا اليوم (بالمحزوز) الوارد الينا من المغرب او الجزائر والمحزوز من بقايا الزجل الاندلسى بلا ريب ولا تزال لغته هى لغة الزجل الى اليوم ·

اما القصيدة الزجلية التى وردت الينا مع اعراب هلال وسليم فى منتصف القرن الخامس فهى عبارة عن قصيد نظم على عروض العرب اتحدت قوافى ابياته الا أن لغته عامية دارجة وقد روى ابن خلدون فى مقدمته كثيرا من هذه القصائد واثنى على بلاغتها ، وكثير منها قريب الشبه فى ميزانه بنوع القسيم المثنى عندنا فمن هذا النوع قول مدغليس على عروض البحر الخفيف

إِنَّمَا حَقًّا لِشْ وَصَلْتَ ضَعِيفْ قَالْ لِي دَارْمَادَارْلَكْ إِذَاوَدَّعُوكَ
لَمَّا جَالِي الْفِرَاقْ وَوَدَّعْتُهُمْ لَبَّسُونِي النُّحُولْ كَمَا لَبَّسُوكَ
ذَكَرَ اللهْ مَنْ قَدْ ذَكَرْتَ بِخَيْرٍ كَذَا يَضًا سَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُوكَ
قُلْتُ مِنْ حَقِّ يَذْكُرُونِي المِلاَحُ قَالْ لِي كَيْفْ لاَ نَعَمْ وَيَنْتَظِرُوكْ
قُلْتُ إِنْ كَانْ تَرْجَعْ لَهُمْ عَنْ قَرِيبٍ قُلْ لَهُمْ عَنِّي يَضًا إِنْ سَأَلُوكَ

وله ايضا عن عروض بحر الرمل

الهَوَى حَمَّلَنِـي مَالا احْتَمِلْ   تُرِيدْ الحَقْ لِس لِمَنْ يَهْوَى عَقَلْ

ومنها فى المدح

لا مَلِيحْ إلا الّذِي نَعْشَقْ أنَـا   وَلا قَايِدْ إلا ذَا الْمَوْلَى الاجَلْ

أبُوعَبْد الله الّذِي أسَّس لُوجَاهْ   بِنْ صَنَادِيدَ تَبَنَّى وَاحْتَفَـلْ

وَلُو هِمَّهْ قَدْ عَلَتْ فَوْقَ الهِمَمْ   فَهْوَ لا يَرْضَى الثُّرَيَّا عَنْ نَعَلْ

وأريد هنا أن أشير الى هذه اللهجة التى وردت فى هذه الازجال والتى لا تزال آثارها موجودة بتونس اليوم فكلمات لس ولو بمعنى ليس وله وبدأ المضارع المسند الى المتكلم بالنون نعشق هـذه كلها لا تزال موجـودة فى اللهجة التونسية وهى آثار اندلسية لا شك فيها .

الشعر الملحون فى افريقية

لم تعرف افريقية القديمة فى اول عهدها بالعرب الا الشعر الفصيح لان الذين دخلوها من العرب كانت لغتهم لا تزال سليمة من العطب والدخيل فاول من نظم الشعر العربى فى هذه الرقعة من الارض جماعة من جند عبد الله بن ابى سرح قائد الغزوة الافريقية الاولى سنـة 27 هـ وفى مقدمـة من وصل الينا نظمهم من جنود تلك الحملة عبد الله بن الزبير قاتل جرجير او جرجيوس صاحب سبيطلة .

واستمر قرض الشعر الفصيح طوال القرون الاولى من الاستقرار العربى بافريقية ولم يدخل على الالسنة تحريف ولا على اللغة تغيير ولا على الشعـر تبديل لان السكان الاول كـانوا من الجنـد ومن الفقهـاء والامراء وردوا من الجزيرة العربية من قريش ومن اليمن ومن العراق والشام ، ولم يقع الامتزاج والاختلاط الذى يؤثر عادة فى اللغة بينهم وبين البربر والروم سكان البلاد بحيث بقيت اللغة البربرية سائدة خارج العواصم كما بقيت آثـار اللغـة اللاتينية معمولا بها فى بعض المصالح كمصلحة ضرب النقود فقد بقى لنا نقد من عهد الامير موسى بن نصير فى اواخر القرن الاول للهجرة عليه كتابـة باللاتينية .

وعدم الاختــلاط بين العرب والبربر استمر مـدة الخلفاء الامويين بحكـم العصبية العربية التى كان يعتنقها هؤلاء الخلفاء .

وفى فترة الفتن أواخر الامـويين وأوائل العبـاسين كثر الاختـلاط بين الاخوين العرب والبربر الا ان هذا الاختلاط قد جعل اللغة البربريـة تطغى على العربية لان الواغلين فى تلك الفتن كان اكثرهـم من البربر وانكمشت

العربية على نفسها داخل القيروان وبعض العواصم بحيث لم تسد فى البلاد لهجة عربية دارجة الا عند قدوم الهلاليين من الشرق وتغلبهم على البلاد وسيطرتهم على السكان بكثرتهم فتعرب البربر واندمجوا فى القبائل الواردة وتكلموا لغتها التى جلبتها معها من الصعيد .

شيء من التاريخ :

لم يترك لنا التاريخ أى أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة (الشعر الملحون) قبل منتصف القرن الخامس للهجرة أى قبل الزحفة الهلالية سنة 443 هـ

وبالرغم من اعتقادنا ان لغة التخاطب فى ذلك الوقت قد دخل عليها شيء من التحريف فى الاعراب ، واختلطت ببعض الالفاظ الدخيلة من البربرية والرومية فاننا لا نشك أن الشعر كان نظمه مقصورا على الفصحى وان الاساليب والصور لم تتخط ما هو مستعمل فى بغداد وقرطبة ، واستمر ذلك حتى الزحفة الهلالية ، فاذا بنوع من الشعر التونسى المنظوم بلغة اولئك الاعراب يظهر للوجود .

شعر الاعراب :

وشعر اعراب بنى هلال وسليم لا يختلف فى الواقع عن الشعر الفصيح فلغته عربية فصيحة اختلطت بشيء قليل من اللهجة الدارجة التى لا تعدو التحريف الجزئى للكلمة الفصيحة فى النطق وفى الاعراب ، أما موازين الشعر فبقيت هى نفسها الموازين المعروفة .

وكثرة عدد اولئك الاعراب وتغلبهم على افريقية وانتشارهم فى مناكبها عرب البلاد واذاب او كاد ـ العنصر البربرى الاصيل فى العنصر العربى المتغلب فسادت لغتهم وانتشر شعرهم ، ولم يبق ـ بعد نحو قرن من استقرارهم بالبلاد ـ مكان للشعر الفصيح الا فى الحواضر حيث توجد الثقافة ودواليب الحكومات

وليس معنى هذا ان اولئك الاعراب ، كانوا لا ينظمون الشعر الفصيح اولا يفهمونه ، بل المقصود انهم ينظمون الشعر على طريقتهم المعروفة فى احيائهم ، كما ينجح بعض شيوخهم الى النظم باللغة الفصحى عند ما يضطر لمخاطبة رجال الحكومة أو المثقفين ، وقصيد عنان بن جابر شيخ قبيلة مرداس من بنى سليم الذى خاطب به أبا عبد الله محمد بن الحسين حاجب أبى زكرياء الحفصى الاول فى القرن السابع للهجرة معروف لمن درس الادب التونسى وهو من أمتن القصائد الشعرية الفصيحة .

يقول فى هذا القصيد :

خَلِيلَيَّ عُوجَا بَيْنَ سَلْعٍ وَحَاجِرِ ... بِعُوجٍ عِتَاقٍ جِيجٍ نَوَاجٍ ضَوَامِرِ

قِلاَصٍ خِمَاصٍ شَازِبَاتٍ عَرَامِسٍ
مَوَاضٍ نَوَاضٍ مُرْقِلاَتٍ عَوَابِرِ
طِوَالِ الْهَوَادِي عِنْدَ كُلِّ تَنُوفَةٍ
هَمَلَّعَةِ الْاطْرَافِ هُدْلِ الْمَشَافِرِ
وَعُوجًا عَلَى دَارٍ لَنَا فِي جَنَابِهَا
أَفَانِينُ لَهْوٍ دَائِمٍ غَيْرِ دَاثِرِ

ومنها :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْسُودَ قَدْ بَانَ وَانْقَضَى
دَعَوْتُ وَنَارُ الشَّوْقِ تَغْزُو ضَمَائِرِي
أَلاَ أَيُّهَا الْغَادِي عَلَى مَتْنِ ضَامِرِ
سَلِيمِ الْقَرَى عَبْلِ الذِّرَاعَيْنِ فَاطِرِ
يَزِفُّ زَفِيفَ الْخَاضِبَاتِ وَيَنْثَنِي
كَحَقْفٍ لَحَتْهَا لاَفِحَاتُ الْهَوَاجِرِ

ومنها :

بَعَثْتَ (أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ) بَدَائِعًا مُحَبَّرَةً مَنْظُومَةً كَالجَوَاهِرِ

ومنها :

رَأَيْتُ رِجَالاً مِنْ رِيَاحٍ وَمَالِكٍ وَعَوْفٍ وَدَبَّابٍ وَزِعْبٍ وَمَاجِرِ
لَهُمْ مَرْقَبٌ دُونِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهُمْ
بِسَيْفِي وَرُمْحِي فِي الوَغَى وَعَشَائِرِي
وَسَلَّمْتُ أَرْضَ الشَّرْقِ لاَ عَنْ مَجَاعَةٍ
وَيَمَّمْتُ أَرْضَ الغَرْبِ لاَ عَنْ تَخَايُرِ
إِلَى بَلَدٍ لاَ يَعْرِفُ الذُّلَّ أَهْلُهُ
كِرَامُ العَشَايَا مِنْ هِلاَلِ ابْنِ عَامِرِ

وقد رد به عن قصيد وافاه من ابن ابى الحسين المتوفى سنة671هـ يعاتبه فيه على مغاضبته للدولة الحفصية وفراره بحيه الى منازل بنى عامر بالمغرب الاقصى ، واول قصيد ابن الحسين هو :

سَلُوا دِمْنَةً بَيْنَ الْغَضَا وَالسَّوَاجِرِ
هَلِ اسْتَنَّ فِيهَا وَاكِفَاتُ الْمَوَاطِرِ
وَدُونَكُمُ يَا لَلرِّجَالِ – تَحِيَّةً –
يُخَصُّ بِهَا عَنِّي عِنَانُ بْنُ جَابِرِ
فَتَى مَا دَعَتْهُ زَلَّةٌ فَأَجَابَهَا
فَكَيْفَ طَوَى كَشْحاً عَلَى نَفْسٍ غَادِرِ
وَقَدْ كَانَ بَيْنِي يَا عِنَانُ وَبَيْنَكُمْ
بَوَاطِنُ صُنَّاهَا بِحِفْظِ الظَّوَاهِرِ
ومنها :
عَزِيزٌ عَلَيْنَا يَا عِنَانُ ضَلَالَةٌ
حَدَتْ بِكَ لَا تَلْوِي عَلَى زَجْرِ زَاجِرِ
تَبَصَّرْ وَلَا تَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ غَيَّهَا
أُعِيذُكَ مِنْ كَرَّاتِ دَهْرٍ جَوَاسِرِ

الحلقة الرابطة بين الفصيح والملحون :

قلنا ان شعر اولئك الاعراب لم تختلف موازينه عن الشعر القديم وهو فى الواقع الحلقة التى تصل بين الشعر الفصيح وبين الشعر الملحون الحديث لا فى لغته وصوره فقط ، بل حتى فى ميزانه أحيانا ، فاننا نجد من شعر اولئك الاعراب ما ينطبق ميزانه على بحر من بحور الشعر الفصيح وما ينطبق ميزانه على نوع من القسيم المثنى المتركب من غصنين المعروف عندنا فى الشعر الملحون اليوم •

فما يقارب الفصيح فى ميزانه قول خالد بن حمزة شيخ الكعوب من اولاد ابى الليل من سليم اعراب تونس ومن ابناء القرن الثامن للهجرة ما رواه ابن خلدون فى المقدمة •

يَقُولُ وَذَا قَوْلُ الْمُصَابِ الَّذِي نَشَا
قَوَارِعُ قِيعَانٍ يُعَانِي صِعَابَهَا
يُرِيحُ بِهَا حَادِي الْمُصَابِ إِذَا انْتَقَى
فُنُوناً مِنَ انْشَادِ الْقَوَافِي عِرَابَهَا
مُغَرْبَلَةً مِنْ نَاقِدٍ فِي غُصُونِهَا
مُحَكَّمَةَ الْقِيعَانِ دَابِي وَدَابَهَا

وَهَيَّضْ تَذْكَارِي لَهَا يَا ذَوِي النَّدَى
قَوَارِعُ مِنْ (شِبْلٍ) وَهَذَا جَوَابَهَا

ومما يقارب (القسيم) فى ميزانه ما رواه ابن خلدون أيضا فى المقدمة من قول الشريف شكر بن هاشم فى عتاب وقع بينه وبين ماضى بن مقرب شيخ بنى قرة من هلال :

تَبَدَّى لِي (مَاضِي) الْجِيَادْ وَقَالَ لِي
أَيَا شُكْرْ مَا احْنَاشْ عَلَيكْ رْضَاشْ
أَيَا شُكْرُ عَدِّي مَا بَقَى وُدْ بِينْنَا
وَرَانَا عَرِيبْ عَرْبَا لاَبْسِينْ نْمَاشْ

وتستطيع ان تتحقق من ان ميزان نوع من (القسيم) المعروف اليوم هو نفس ميزان مقطوع الشريف ابن هاشم من قراءة هذا المثال من شعر احمد البرغوثى :

حَبِيبْ انْ زَرَعْ لِي فِي الضَّمِيرْ حْسِيفَه
مِنْ غِيرْ لاَ دِرْتْشْ مْعَاهْ احْسَافْ
نِحْسَابْ مَا عِنْدِي حَبَايِبْ كِيفَه
وِنْحَسَّابْ حُبَّه مَا مْعَاهْ اخْلاَفْ
حَطِّيتْ قَدْرَه فُوقْ رَاسْ حَذِيفَه
وْهَزِّيتْ ثِقْلَه فُوقْ مِ الاكْتَافْ

تطور الشعر :

والتغير الذى ادخلته الزحفة الهلالية على الشعر فى ألفاظه واعرابه قد تعزز بورود الازجال الاندلسية على افريقية فى القرن الخامس والقرون التى تلته مع بعض العائلات والعلماء والادباء الراحلين الى الشرق لقضاء فريضة الحج او لطلب العلم فى العواصم الشرقية فهؤلاء هم الذين جلبوا معهم الزجل الاندلسى الى افريقية والى الشرق .

كما تعزز هذا التغيير بورود الوان من الملحون البغدادى مع القوافل التى تجوب أطراف الدولة الاسلامية واستمر هذا التغيير متدرجا مع العصور ، ومع تقادم العهد بالعربية الاولى واختلاط اللهجات وانتشار الجهل وتقلص الثقافة ، الى أن وصل الى ما نعرفه اليوم من تغيير كامل فى موازينه والفاظه ، حتى اصبحنا لا نستطيع رد الموازين المختلفة اليوم الى أصولها القديمة ، وغدت الفاظه دارجة بعيدة فى لهجتها عن اللهجة العربية الفصيحة، أقول اللهجة ولا أقول اللغة لان أغلبها عربى باق على أصله ولو أنه غير معرب

ـ يتبع ـ

الى الحيـــــاة...

شعر : الصادق شرف

أتَذْكُرُ الأمْسَ فِي حُزْنٍ، وَفِي يَأسٍ؟.
وَأنْتَ لليَوْمِ تَحْيَا.. لَسْتَ لِلأمْسِ!
وَالقَلْبُ فِي الحُزْنِ لا يُلْفِي سَعَادَتَهُ،
وَلا يَشِعُّ لَهُ حَتَّى سَنَا الشَّمْسِ.
تَرَى الوُجُودَ كَسِتَّمٍ للخيَاطِ إذَا
كَانَتْ حيَاتُكَ فِي يَأسٍ ..عَلى يَأسٍ،
أهْمَلْتَ حَاضِرَكَ السَّامِي، وَتُقْتَ إلى
مَاضٍ، تُنَاجِيهِ بِالاوْهَامِ فِي هَمْسٍ،
مِثْلَ الذِي فِي التِبَاسٍ وَاليَقِينُ بَدَا
صُبْحاً فأغفَلَهُ.. وَانسَاقَ للَّبْسِ
مَا الامْسُ إلاَّ حيَاة كَانَ يَعْشِقُهَا
قَوْمٌ .. بِهِمْ صَارَتِ الايَّامُ للرَمْسِ،
فَاعْشَقْ حيَاتَكَ فِي طُهْرٍ كَمَا عَشِقُوا
وَارْفَعْ لَهَا رَايَةَ التَّجْدِيدِ فِي قُدْسِ،
وَالمَسْ وَلَوْ فِي ظَلاَمِ اليَوْمِ مَجْدَ غَدٍ..
وَفِي الجَدِيدِ حَيَاةُ العَقْلِ، والنَّفْسِ،
فَالنَّفْسُ إذَا كَانَ مَاضِيهَا يُدَاعِبُهَا،
فَالعَقْلُ يَشْقَى بِمَا فِي الأمْسِ مِنْ بُؤْسٍ.

دَعِ القَدِيمَ.. وَخُذْ مِنْ يَوْمِ وَاقِعِنَا
فِكْراً تَسِيرُ بِهِ فِي مَوْكِبِ الحِسِّ،
وَاجْعَلْ وُجُودَكَ نُورُ الفِكْرِ رَائِدُهُ
كَيْ لاَ تَضِلَّ بِهَذَا العَصْرِ فِي غَلَسِ
وَاغْنَمْ مِنَ اليَوْمِ مِصْبَاحَ الجَدِيدِ.. وَلاَ
تُتْعِبْ ضَمِيرَكَ بِالاوْهَامِ وَالحَدْسِ
وَاصْبَحَ كَمَا صَبَّحَ العَصْرُ الحَيَاةَ.. وَلاَ
تَرْكُنْ لِمَاضٍ.. وَلاَ تُصْبِحْ كَمَا تُمْسِي.
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ خَلاَّقاً.. وَمُبْتَكِراً..
وَدُرْ عَلَى دَوْرَةِ الأزْمَانِ، وَالشَّمْسِ.

*

هِيَ الحَيَاةُ وَقَدْ ثَارَتْ.. تُكَافِحُنَا
بِالنَّارِ كَيْفَ نَرُدُّ النَّارَ بِالفَأسِ !؟.
هِيَ الحَيَاةُ.. وَقَدْ بَانَتْ حَقِيقَتُهَا
وَأنْتَ مَا زِلْتَ نَشْوَاناً عَلى كَأسِ.
هِيَ الحَيَاةُ.. وَقَدْ سَارَتْ مَوَاكِبُهَا
بِالفِكْرِ تَكْتَسِحُ.. الآتِي، وَلاَ تُرْسِي.
هِيَ الحَيَاةُ.. وَقَدْ لاَحَتْ فَتَاةُ غَدٍ..
فَهَلْ نَكُونُ شُيُوخاً مِنْ بَنِي الأمْسِ !؟.
خُذِ الحَيَاةَ بِآتِيهَا.. بِحَاضِرِهَا..
وَاغْرِسْ بِهَا زَهْرَةَ الآمَالِ، لِلإنْسِ

وَلْتُغنِ ذاتكَ في ذاتِ الحياةِ كما
يُغنّي الفَراشُ طُموحاً في لَظى قَبَسِ

وكُنْ هَزارَ ربيعٍ مُنْشِداً.. ثَمِلا
بالنُّورِ، بالأملِ البَسّامِ، بالأُنْسِ،

وارْقُصْ بأجنحةِ التّجديدِ مُنطلقاً
حُرّاً.. فكمْ منْ هَزارٍ ماتَ بالحَبْسِ!؟

خُذِ الحياةَ ولا تَجزعْ لِكُدْرتِها
فما بُعَيْدَ الدُّجى إلاّ سَنا الشَّمْسِ..

وكُلُّ كارثةٍ في الدّهرِ صادمةٌ
تَمْضي.. ويَبْقى لكَ التَّذْكارُ كالدَّرْسِ.

لا يَنْ زَمانكَ إنْ لانَتْ مَخالِبُهُ
ولا تَفِرَّ.. وكُنْ عَكْساً معَ العَكْسِ..

وإنْ يَكُنْ دَرْبُكَ الأشواكُ تَغمُرُهُ..
معَ الظّلامِ.. فَدُسْها أيّما دَوْسِ.

ولَنْ يُنيرَ لكَ الدّربَ الرّهيبَ سِوى
نُورِ الطُّموحِ : ورُوحانيّةِ النّفْسِ...

الصادق شرف

اتجاهات الثقافة في المغرب العربي ومستقبلها

بقلم : جـاك بارك

تعريب : الدكتور فريد غازي

1 — تحديد كلمة « ثقافة »

ان استعمال كلمة "ثقافة"(*) ليستلزم قبل كل شيء تحديدا مدققا قبل الدخول في صميم الموضوع. فلا بد، اذن، من أن نحدد هذه الكلمة في مختلف معانيها وبأيدينا فأس الحطاب نهوى بها دون شفقة ولا رحمة على تلك التحديدات البالية حتى نستخلص مفهوما صادقا لها. ذلك لان كلمة ثقافة هي من تلك الكلمات التي لم نفتأ نبحث لها عن تحديد مدقق مضبوط

أما التحديد الاول الذي نجده في الكتب والاسفار، فهو تحديد قريب كل القرب من المفهوم المدرسي التقليدي الاكثر تداولا. يقول ففنارق (Vauvenargues) : "الثقافة هي منزلة فكر هذبه التعليم".

انكم ترون، تواً، فقر هذا التحديد وعجزه عن ضبط مفهوم الثقافة. لان الانسان لا يدرك الثقافة بمجرد تلقيه تعليما ما لأنه تعليم لا غير. وليس التعليم — وهو يتمثل في نيل شهادات — هو الذي يجعل من الانسان مثقفا

اذن، يجب أن تستلزم الثقافة انسانا متكاملا وهذا المفهوم هو ما كانت العقلية العربية تذهب اليه حين تستعمل هذه الكلمة الجميلة البليغة كلمة آداب.

فمفهوم الاديب ،قريب كل القرب من مفهوم الرجل المهذب الشريف (honnète homme) — كما عبر عنه الفرنسيون في القرن السابع عشر — هذا الرجل الذي وصفته عبارة شهيرة بأنه مهذب تهذيبا كاملا، مهذب فكريا ومهذب اخلاقيا، ومهذب عاطفيا، مهذب أي مصقول.

(*) نص محاضرة ألقاها المستشرق الشهير والاستاذ الكبير "بارك" في نوفمبر 1961 بدار الثقافة بتونس ونقلها الى العربية الفقيد الدكتور فريد غازي وسلمنا النص قبل وفاته وانما أرجأنا نشره في انتظار موافقة صاحبة الفكر

وهكذا نعود من جديد الى التعليم والتربية، فنعلم أن ذلك المفهوم مفهوم اجمالي ومفهوم همه الحصر وهدفه ان يمكن نخبة ارستقراطية، لامحالة في مجتمع مال شيئا فشيئا الى التحجر، من السيطرة واذا ما انتقلنا الى القطب المعاكس اعترضنا مفهوم آخر هو الذي روجته "الانطروبولوجية" الانكليزية والقائـل :

"ان ثقافة شعب من الشعوب هي جميع العناصر الثقافية والفنية التي تقوم عليها علاقاته وروابطه الحية التي بينه وبين الطبيعة التي حوله" وهنا نكتشف تناقضا هاما جدا بين المجتمع وبين الطبيعة، هذا التناقض الذي ابرز زميلي الاستاذ ليفـي استـراوس (Levy Strauss) مـا فيـه من عمـق وغموض وما فيه من فوارق عدة، وآخرها تلك التي عرضها الاستاذ "ليفي ستراوس" هذه السنة في دروسه "بالكولاج دي فرانس" فهو لكي يقيم فارقا بين المجتمع والثقافة يعتبرهما جانبين متكاملين لمشكلة الموت فغاية المجتمع وهدفه، هو أن يمنع الانسان ذلك الحيوان من أن يعلم أنه زائل. فقد قال :

"انه رد فعل مزدوج ، ضد الموت من جهة، وضد الطبيعة من جهة أخرى، رد فعل الانسان الواعي بوجوده. ان هذا التحديد يحمل طابعا ظاهرا وصبغة ما ورائية".

ربما يلزمنا ان نقف عند الفارق الذي أقامه "دركهايم" في دراسته أي الفرق بين المجتمع الذي رأى فيه الاسلوب وطريقة العمل وبين الثقافة التي قال عنها انها اسلوب وطريقة ذاتية ان هذا الفارق بين الرغبة في أن نكون والرغبة في أن نعمل مفهوم خصب جدا.وهو يحتوي فيما اعتقد على العناصر التي ستمكننا من تحديد الثقافة تحديدا مضبوطا.

والرأى عندي : "ان الثقافة هي العلاقة المسترسلة الخلاقة بين ظرف ما مادي واجتماعي من ناحية وبين نظرة افتراضية لانسان ما من ناحية اخرى" وفعلا لا نجد مجتمعا من المجتمعات لا يفترض انسانا مثاليا ولكن لاتصل المجتمعات كلها الى التعبير الكامل او الى تحقيق هذا الافتراض.

2 — المواقف الحضارية : اللغـة

ان مثل هذا الافتراض لايمكن ان ندرك جلاءه وصفاءه الا في سلسلة من السير البشرية الملموسة والمواقف اللغوية، وأساليب العيش، المتجاوبة مع المظهر الجمالي هذا المظهر الذي مهما أجهدنا أنفسنا لنزيله من مفهوم الثقافة

فنحن عاجزون وهكذا تدركون معي ان مفهوما كهذا يؤدينا حتما وتوا الى الحديث عن الثقافة كما نتحدث عن الشعوب "البدائية" وعن الشعوب الكلاسيكية فهنالك ثقافة بدائية بنطو (Bantoue) (1) ولكن لا توجد "كلاسيكية" بانطو كما توجد كلاسيكية يونانية "اوهندية" "او صينية" او فارسية اوعربية ومن هذه الناحية يندمج تحديدنا في صميم الحي، في صميم النقاش الحي، نقاش العصر الحديث.

وهنا تثار امام جميع الشعوب ومن بينها بالخصوص اكثر الشعوب وثوقا بالروح الكلاسيكية كالشعب العربي أو الفرنسي، تثار أمامهما المشكلة الصعبةمشكلة الجمع والتوفيق والربط بين الفعالية وبين واقع الوجود فعلى هاته الشعوب قبل كل شيء ان توفق ما بين ما يزيد الاحتفاظ به من ماضيها ومن هذا الماضي بما يزيد ان يبقيه من قيمتها الثقافية ومواقفها الحضرية وهي من أعز الأشياء التي تملكها هذه الشعوب التي عليها أن تحتفظ بها وان توفق بينها وبين ما تجبر عليه من تطور واختيار يمليه عليها عالم التكنيك ذو الوجه الواحد، عالم يلزمها الدخول اليه والاندماج فيه والانسجام معه.

اذن ان كان هذا النقاش وهذا الاختيار صعبا عند جميع الشعوب فهو اختيار يصطبغ بصعوبة اشد عند الشعوب التي القى بها في ميدان التعليم العصري. هذه الشعوب التي عرفت رغم انفها هذا العالم الحديث وعرفت وجهه الحق الذي لايكاد يختلف، لم تتصل به ولم تدخله باكتشافات علمية وفنية اكتشفتهاهي أوبخلقاشياء اعانتغيرهاعليها بل وصلهاهذا العالمووصلتها هذه الاكتشافات بواسطة غيرها من الامم وفي شكل استعماري فلم يدخل هذا العالم الحديث على حياتها اختلالا ولم يفقدها توازنها القديم فقط بل كاد يفقدها اصالتها ايضا واننا نشعر في المغرب العربي شعورا حادا بهذا النوع من المشاكل، حتى أن التاريخ ليبدو كالتيار المندفع نحو العودة الى ماض قومي، في المقدار الذي يبدو فيه هذا الماضي مناقضا مناقضة ظاهرة ونفيا بينا للمرحلة التي سبقت عهد الاستقلال.

ان هذا التقدم ، وهو أمر ظاهر بين، لولاه لكنتم عرضة للموت وللعبودية، ولقد وصلكم بواسطة لغة أجنبية، دخيلة عليكم.

وعن هذه الحالة نشأ نقاش حاد في صلاحية استعمال اللغة المحلية الاصيلة (اللغة العربية) او استعمال اللغة المعبرة عن الحضارة العصرية والمؤدية لها

---

(1) البنطو : شعب من شعوب جنوب افريقيا السود.

اعني اللغة الفرنسية هذه اللغة التي كانت لغة الاستعمار، ومن هذه الزاوية يبدو لنا هذا النقاش في شكله العنيف.

ان الواقع – الذى يشعر به الرجل المغربي ويلمسه بيده حين يتأمل تأملا فكريا متبصرا في الثقافة التي هو عليها (حتى ولو كان هذا التأمل من زاوية الاكتشاف والتنقيب) – من شأنه أن يفقد الرجل المغربي طابعه الاصيل ويجرده من شخصيته الاصيلة فهو لايمكن له بالمرة أن يفرق بين الفكرة التي يمتلكها عن الثقافة وبين اندماجه اندماجا كليا متجددا في ثقافة بلاده اذن فان كان تحديدى السابق للثقافة تحديدا صحيحا – وتذكروا انني قلت عنها انها العلاقة المثمرة الناشطة الخلاقة والعلاقة المتجددة المعادة بين واقع مادي واجتماعي وبين انسان نفترضه افتراضا – وجب، نتيجة لما سبق ان نقول ان كل ثقافة مغربية لابد أن تظهر في شكل من هذه الاشكال الثلاثة :

أولا : ان ثقافة مغربية ما، لايمكن الا ان تكون جماعية ولايمكنها الا أن ترمي الى اندماج الثقافة في الشخصية الجماعية المغربية واحلالها فيها، احلالا لايتجاوز التاريخ الحديث جدا فحسب بل هو احلال الثقافة في هذا التاريخ نفسه. فهل أكد لك، رغم هذا، التاريخ الاستعماري الذى حاول ان يفقد الثقافة المغربية طابعها وأن يزحزحها عن شخصيتها وهذا يؤدينا الى مشكلة اللغـة.

ثانيا : النقاش حول اللغة هو الذي يؤدينا الى الناحية العملية من مظاهر ثقافة بلدان المغرب العربي الحيوية.

ان منطقا داخليا يريد أن تستلزم هذه المشاكل (اللغوية) التي يتعرض لها الناس والباحثون من الناحية البيداغوجية – اعني من زاوية علم تطبيقي ان لم يكن من زاوية التجربة المتلعثمة هذه المشا كل اللغوية التي تذهب بهم الى رد فعل جماعي متحمس ان يستلزم نظرة واجتهادا جذريا اساسيا.

واني لاحيل كل نظرة فكرية ذهنية على عالم التجربة، احيل كل نظرية فكرية ذهنية على العمل المقابل لها، العمل الذي ترمي الى أن تحققه أو هي حققته.

وانني لااستطيع أن أفهم كيف يمكن أن تنجح تجربة ما يسمونها "التعريب" في بلدان المغرب دون ان تحدد قبل تحديدا مضبوطا ما هي طبيعة اللغة. نعم. ما هي اللغة.

هل اللغة حسب ما تدعونا القواميس ان نعتقده هي عملية استجماع كلمات ؟ ان الكلمة اسلوب تفاهم يشترك فيه الناس. فكلماتك وكلماتي وكلامك وكلامي تبحث هذا العالم الذي اريد أن أعبر عنه وأريد أن أتجاوزه وانفلت منه. وفي الحقيقة اني القي وارمي بالكلام لاتجاوز الحاجز وأتجاوز الصورة ولأصل بيني وبين العالم وهذا ما سماه العلماء اللغويون بالميدان أو الحقل المعنوي اللغوي (Champ sémantique) كلمة (Sémantique) اعتنقها العلماء أثر بحوث الاستاذ موريس بريال Maurice Bréel للتعبير عن علم المعاني Science des significations من اليونانية Sémantike وهي تدرس معاني الكلمات بالنسبة لكلمات أخرى مترادفة تستعمل في الوقت نفسه أوهي تبحث عن تطور الكلمات تطورا زمنيا. وهو مفهوم من المفاهيم التي اكتشفها حديثا عالم من علماء اللغة بجامعة اكسفورد هو الاستاذ "اولمان" فما هو الميدان او الحقل المعنوي اللغوي يا ترى ؟

ان كل لغة تقسم وتنظم المعطيات اللغوية التي تملكها.

ثالثا : وعند هذا الحد نكون قد تجاوزنا تجاوزا نهائيا المعارك النحوية والصرفية واللغوية التي تثور بين علماء اللغة منذ القديم فنرى الحقل اللغوي يجمع كل المعطيات التي تأخذ معناها بالرجوع الى الحياة الباطنية والحياة الخارجية الى العالم وتنظمها حسب قوانين خاصة بها، قوانين يمكن ان تتغير مع التاريخ المتطور. فهناك تاريخ يضبط المعاني اللغوية : ان هذه الميادين او الحقول تكون علما وسطا يقوم حاجزا بين الانسان والكون.

3 — الادب شاهد على التطور في المغرب العربي

وعند هذا الحد نلجأ الى الادب المغربي نفسه، نعم تبدو لنا فرصةسانحة تمكننا من أن نكشف للناس عن منبه أعمق وأكثر اصالة وابلغ شهادة من اللغة والنحو والصرف فلا نلجأ الى أصحاب اللغة والى النحويين ولا الى الاساتذة ولكن الى الكتاب والمؤلفين هذه النقطة المنهجية، أريد أن ألفت الانظار اليها فأقوم أمامكم بعرضها وأقول أن أقوم بعرضها ولا أقول أقوم بنقدها نقدا ادبيا، لان النقد الادبي لاطائل من ورائه، رغم ما أحمله من الاحترام لنقاد الادب المعاصرين.

أ — نظرة عـــامة

اريد أن أقدم صورة عن التطور الادبي في المغرب العربي منذ ثلاثين

سنةفي المقدار الذي يمكننا فيه هذا التطور من استجلاء هذه المفاهيم الصعبة. ان المغرب قد أضاع، منذ عهد بعيد الاندفاعة الادبية والخلق الادبي وكان يحلو للشرقيين ان يعارضوا ويناصروا بين الرجل الشرقي فيصفونه بالاديب وبين الرجل المغربي فيصفونه بالصوفي أو الفقيه او بالنحوي كذلك. لان المغاربة هم الذين علموا مصر النحو، وادخلوا النحو الى القرية المصرية. فالاجرو مية مؤلفها مغربي ولكن في أي مظهر تتجلى شخصية هذا الرجل الذي لم يخل من تجربة وجودية والذي تلقى من التاريخ ضربات وصدمات عنيفة لقنته دروسا ذات فائدة كبرى ؟.

اننا لنراه يتخبط في أشكال وظروف صعبة الوصف ربما تتطلب شيئا أكثر من الصبر وتبعث فيه شيئا من الازدراء نحو الجمالية اعني نحو الادب الذي همه الفن والجمال فحسب، فيتطور الرجل المغربي في ميادين بعيدة عن الادب او ثانوية كالشعر الشعبي.

ب ــ انموذج من مراكش

ولكن لندع هذه المظاهر جانبا ولنبحث في المرحلة الادبية ذاتها : لنفترض بل لنتخيل رجلا مغربيا من السوس الاقصى، واني سأختار كانموذج اقدمه لكم صديقي الخاص السيد المختار السوسي وزير التاج كما عرفته. — ولا أدري هل استمرت خطته هذه في المغرب الحالي أم لا

كانت لغته التي يتكلم بها الى سن الخامسة عشرة اللغة البربرية وكان يتعلم العربية ويتكلمها بمحبة وحماس كبيرين، هذا الحماس الذي جعل من هؤلاء البرابرة علماء كبارا في فقه اللغة يشرحون مقامات الهمذاني والحريري.

ثم هو بعد سنوات قضاها في مسقط رأسه يلتحق بمدينة فاس فيدخل جامعة القرويين وهو على موهبة كبيرة وعلم غزير في اللغة فيدخل وسطا يختلف عن وسط الزاوية القروية التي تعلم فيها أيام صباه الاولى. وتراه في فاس يقرض الشعر وينظم قصائد المناسبات شأن القضاة والعلماء والفقهاء في القرن التاسع والقرن العشرين.

ان المعركة التي كانت تدور رحاها في نفس هذا الفقيه السوسي معركة حاسمة فنراه ينزوي عن الناس ويخفي وجهه تحت "قامونه" — وهي العبارة المراكشية للطربوشه ويخفي عينيه وراء نظارتين سوداوين لا ليتأمل الدنيا ويبصر عن كثب بل بالعكس ليخفي بصره ويفوز بحكمته لنفسه. انها معركة

جبارة. ولقد احتفظ لنا بأطوارها في ترجمته لحياته التي الفها ونشرها في المجلة المراكشية (دعوة الحق) وهي ترجمة عنوانها "بين الجمود والجحود" وصور لنا فيها اسرته التي تعد اربعة أو خمسة اخوة أما أولهم فقد أصبح "زنديقا" يتعاطى تهريب السلع الى ان قبضت عليه الجندرمة ذات يوم وأودعته السجن. واما الاخ الثاني، فهو شيخ منافق تقليدي ولكن الاخ الثالث كان من نوع الفقهاء المعروفين، وأما الرجل الوسط فهو صاحبنا المختار السوسي. نراه يطالع بمكتبة القرويين كتب الفقه والكلام ويجمع له نفرا من الشباب يطالعون: ولكن عوض أن يطالعوا أو يقرأوا مصنفات الخليل وشروح التفتزاني، تراهم ينقلون مقطوعة طويلة من "بول وفيرجيني" أو "العبرات" لمصطفى المنفلوطي او يتصفحون المجلات الادبية كالرسالة لاحمد حسن الزيات التي كانت منذ سنة 1930 تحنو حنوا خاصا على الاثار الفرنسية فتترجمها الى اللغة العربية.

ج – تونس والنهضة

ما الذي كان يجري اذ ذاك بتونس ؟ اني أطلب عفوكم عن قلة درايتي بالموضوع وأنا بينكم على أنني استطيع أن أقول أن تونس هي البلد المجهول في الادب العربي المعاصر هي المجهولة الكبرى بين البلدان التي عرفت النهضة هذه النهضة التي بدأت انطلاقتها من بيروت سنة 1860 أو لسنوات قليلة قبل هذا التاريخ.

ان تونس في الحقيقة لم تنتظر هذا التاريخ – أي سنة 1860 – لتبدأ نهضتها وعلينا ان نذكر أسماء رجالاتها العديدين ممن دعوا الى النهضة ومنهم الشيخ محمود قبادو الذي كان يكتب ويؤلف نثرا و شعرا، على الطريقة نفسها التي سيكتب بها ويؤلف بها. ويشعر حسبها المشارقة في القاهرة حوالي سنة 1890. لقد كانت تونس اذ ذاك سابقة بالنسبة للمشرق بجيل أو جيلين في طريق النهضة.

د – تونس في سنة 1920

ومهما يكن من أمر، فها نحن ننتقل الى سنة 1920 وها نحن نجد أنفسنا في تونس "بين الجمود والجحود" كما يقول المختار السوسي، اننا اذا تأملنا ذلك العهد تبدو لنا نزعتان ومجتمعان متعارضان متناقضان. ان تونس، وهي عادة متأصلة في أهلها، تحب حياة المجتمع حبا كثيرا وتهوى اللجان الثقافية أما هاتان النزعتان فاحداهما تقودها مجلة ذات نزعة دينية شديدة الميل الى

المحافظة وعلى رأسها رائد لم أر الناس تحدثوا عنه كما ينبغي اعني به الشيخ مناشو الذي كان يصدر مجلة البدر، تلك المجلة التي كان يحرر فيها شبان الزيتونةفي ذلك العصر وهمالآن شيوخ عصرنا المحترمين،مثل الشيخ النيفر والشيخ ابن عاشور.

وأما النزعة الاخرى. فهي اتجاه معاكس معارض يستعمل افراده اللغة الفرنسية كلغة للتعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم والبوح برغائبهم والافصاح عن ذاتهم. انكم تفكرون ولاشك في جماعة الطاهر صفر وفيمن سبقه من الزعماء.

ان اللغة الفرنسية أخذت فعلا كما قلت مكانة كبيرة وبدأت تتسرب في ميادين وحقول اللغة الاصطناعية بل أصبحت تغذي الحياة اللغوية وأخذت تنفذالى اعمق الطبقات العقلية في تفكير الافراد والمجتمع التونسي.

وعلى هذه السيطرة ثار ذلك النقاش الحاد، الذي برز فيه جان عمروش (Jean Amrouche) الذي عبر تعبيرا انسانيا رائعا عن هذه المعركة حين عارض بين الروح الخارجي (animus) والروح الباطني (anima) أي على هذه القوة المكونة من مفاهيم معقولة، ومن الهام مستمد من الخارج يغزو بأمواجه المندفعة هذه الروح الباطنة. فهل ينتهي به الامر الى غزوها ونفاذها أم بالعكس هل يتقهقر أمامها وهل يتم بينهما وفاق وزواج كما تدعو اليه الكلمتان اللاتينيتان وأولاهما تعد للمذكر والثانية للمؤنث.

ه — المغرب العربي 1928 — 1934.

حوالي سنة 1928 تبرز أمامنا مجموعات أدبية ثلاث :

أولا : مجموعة من الشعر الجزائري من تأليف الهادي الزاهري. ومجموعة ثانية من الشعر المراكشي للعباس القباح، ومجموعة ثالثة من الشعر التونسي لزين العابدين السنوسي.

في هذه المجموعات نرى أمامنا نزعات متعددة وأشكالا مختلفة متضاربة من الفكر والتطور وطبقات مسترسلة الواحدة تلو الاخرى أو قائمة الواحدة فوق الاخرى. اننا نرى هؤلاء الشعراء وقفوا وبرزوا في مظهر زعماء الثقافة المراكشية فكنت ترى فيهم رجلا كمحمد غبريط ورجلا كالبرغيطي. ورجلا كالفقيه ابو عشرين صحين، انهم جميعا ينتمون الى الطبقة البرجوازية

العتيقة التي تنحدر من المهاجرين الاندلسيين أو من الجماعة الشريفية وهم يميلون ميلا خفيا الى أن تؤخذ منهم الصور في بساتينهم ورياضهم التي تظللها وتعطرها أشجار البرتقال، متزمتين في هيأة قاضي البصرة وقد لبسوا جلابيبهم البيضاء والعصا الثمينة في أيديهم والبرنس الحريري قد مسكت به أصابعهم. في حشمة ظاهرة على شاكلة الظرفاء

أما في تونس، وفي نفس ذلك العهدفقد كنت ترى ادبا راقيا نظرا لقدم النهضة وعمق الاتصالات التي تمت بين الشرق والغرب وهي اتصالات أقوى وأعمق بكثير من التي تمت في الجزائر ومراكش .

ان فكري يعود بي الى كتاب وشعراء مثل الشاذلي خزنه دار ومصطفى آغا وبلحسن بن شعبان ومحمد صالح النيفر خاصة اني لم أعرفه شخصيا وربما لم يزل على قيد الحياة ولكن المراجع االتي نملكها تقدمه لنا في شكل أديب ينظر الى الدنيا ويفسرها حسب المقاييس الثقافية الدينية بل كثيرا ما كان يبشر الى الزعامة الدينية في شعره.

ومع محمد الهادي المدني — اخ توفيق المدني — نثب وثبة في طريق التطور اننا نسمعه يلقي على نفسه اسئلة عن الذات وعما هي الحقيقة انه متفلسف، ولهذا كثيرا ما قارنه النقاد التونسيون بالشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي الذي يشابه بدوره الشاعر الفرنسي سولي بريدوم(Sully Prudhomme)

والذي أدخل آراء جديدة بالنسبة لعصره على العالم العربي وننتقل بعده الى عبد الرزاق كرباكه وأظنه من أصل تركي وان هو تمتع بأجداد اندلسيين اذ تسمى بكرباكه العبادي وانتسب الى المعتمد بن عباد ملك اشبيلية المدفون بسفح جبال الاطلس. هو أيضا يميل الى شعر الشاعر العراقي معروف الرصافي واننا لنراه ينظم سنة 1929 قصيدة يهديها الى الشاعر العراقي الذي رت له في تلك السنة حادثة غريبة : ان الرصافي ، الذي كان يشابه دون كيشوت الاسباني دفعه أسى الحب وتيمه الهوى فتوغل في الصحراء وهام على وجهه ولكن صحراء الشام اخطر بكثير من فيافي كاستيليا، وضج العراق بل ضج الشرق كله لهذه المغامرة وخاف أن يفقد شاعره وطفق الناس يتساءلون عن حالة الشاعر وأين هو فأرسل الملك فيصل قافلة من السيارات للبحث عنه في الصحراء. هذه الحادثة نجد صداها عند شاعرنا التونسي الذي ينسجم هكذا مع احداث عصره انسجاما كاملا.

و – ابناء العصر : أبو القاسم الشابي

ويعود الفضل الى جماعة أخرى من الشعراء في الانتقال بالادب المغربي وتطويره في ميدان الفكر وفي دنيا الالهام الوجداني، انه جيل آخر يختلف عن الجيل السابق انهم ابناء العصر الذين ولدوا حوالي سنة 1900 والذين تأثروا بالقصة والشعر، خاصة بشعر لامرتين سواء بواسطة اللغة الفرنسية أو الترجمات الكثيرة ومن بين هؤلاء لابد أن نذكر علال الفاسي المراكشي الذى كان يميل الى التصوف. وانتقل بعدهما الى اكبر شاعر عرفه المغرب العربي الحديث هو أبو القاسم الشابي الذى كتب لصديقه الحليوى سنة 1926 رسالة يقول فيها "ما هذا الوجدان التائه في شعاب الغد الغامض". هذا الوجدان هو ثورة العقل انني وجدت هذه الفقرة في مجلة أدبية قامت بدور هام في ذلك العهد اعني مجلة (العالم الادبي) للاستاذ زين العابدين السنوسي. اننا نطالع فيها قصة للشابي : صور فيها شابين يطالع احدهما تعريبا لاناتول والآخر تعريبا للامرتين. انهما في حديقة البلفيدير ينظران الى فتيات اروبيات يتبارين في كرة التنس، انني أعتقد أن الشابين كثيرا ما يرفعان البصر عن كتابيهما ليتمتعا بمشهد الفتيات، دون ان يذهب بهما ذلك الى أن يلعبا بأنفسهما كرة التنس أو يمر بهما صديق فيسألهما عن حالهما فيعبران عما في قرارة نفسيهما فاذا هما مصابان بداء العصر المر الذى تحدث عنه من قبل الفريد دوموسي وبودلار ويقف أحد الرفقاء ويودع صديقيه ويذهب به السبيل الى غير اوبة.

ويغادر الشابي بعد ذلك العاصمة ليعود الى الجريد – مسقط رأسه – ويبدأ في حياته عهد النكبات فيفقد والده الذى كان يحبه حبا كبيرا، ثم يتزوج وان زواجه لنكبة فيما أعتقد فالنقاد لم يتحدثوا بالمرة عن زوجته وبعد أشهر يغادر الحياة التي أحبها حبا جما. الحياة نعم. لقد أحبها الى درجة انه جعلها عنوانا لديوانه (اغاني الحياة)

وتعرفون كلكم بلا شك تلك القصيدة الشهيرة التي سمعت الناس وانا في الشرق ينشدونها ويرددون أبياتها ليعبروا عن رغباتهم في الحياة.

اذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي ... ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخر في جوها واندثر
هو الكون حي يحب الحياة ... ويحتقر الميت المندثر

انها لعنة قاسية ارسلها في المجتمع وفي العصر الذي عاش فيه ويتلو بعد هذه الابيات ابياتا أخرى.

اذا طمحت للحيـــاة النفـوس فلا بــد أن يستجيب القـــدر

لقد أجاب القدر اخيرا، ولكن في الحقيقة أجاب في عصر غير عصر الشابي الذي بقي "النبي المجهول" كما قال في قصيدة من قصائده الغرر.

وانا لنجد عنده انطلاقات وافراحا واسعة أمام الحياة وأمام الموت. ولابد ان نذكر هنا اعترافاته عن موت والده، والشابي حين يتحدث فهو يتحدث كشاعر فيلسوف.

ان هذا الرجل الذي يصفع الموت يحب الماضي ويحب المستقبل ولكن الرابطة بين المستقبل وبين الماضي عنده هي الاصالة الفكرية وهي ما تبحث عنها كل ثقافة حق. وهذه الاصالة تعيدنا من جديد الى موضوعنا، فنستطيع أن نقول ان الشابي – في مستوى العالم العربي كله – اكبر شعراء مدرسة الوجدان ان تلكم المدرسة الرومنطيقية التي كان همها أن تستثمر استثمارا كليا هذه الروح العربية الصميمة التي يدعونها الوجدان والكلمة تجمع (وقد يتعجب من ذلك اللغويون الاروبيون) معنى الوجود في ارتعاشاته الخفية جدا ومعنى الذات في أساس جوهرها وعمقها المحض، ان كلمة وجدان تجمع هذين المعنيين وهي خاصة من خصائص اللغة العربية.

ان الشابي كان كثيرا مايطالع كتبا عربت عن الفرنسية ولكنه لم يكن يقرأ الفرنسية ولا يؤلف فيها الا انه يوجد ادباء تونسيون كثيرون يؤلفون ويكتبون بالفرنسية.

4 – ادباء اللغة الفرنسية

ان هذا العرض يبقى ناقصا ان انا اهملت مظهرا آخر من الثقافة المغربية المعاصرة.

نعم وصلت صدمة اللغة الفرنسية الى الاعماق الى قلب الافراد والجماعات حوالي سنة 1930. ان المغاربة استعملوا في الوقت نفسه اللغة العربية كسلاح للمقاومة ضد الاستعمار واللغة الفرنسية للتعبير عن الالهام. وهي حقيقة لاوجوب لنكرانها في ذلك الجيل.

ومن ذلك الجيل أذكر الطاهر صفر هذا فيما يعود للماضي وأستطيع أن

أذكر في الحاضر رجال دولة كثيرين استعملوا الفرنسية أكثر فأكثر في مؤلفاتهم وتصريحاتهم

ان استعمال الفرنسية عند الكتاب يرمي الى خلق ادب ليس بالمرة ادبا اقليميا بل أدبا انسانيا شاملا.

والغريب أننا سنجد حوالي سنة 1930 جماعة تسمي نفسها بالكتاب الجزائريين وتعتمد الادب وتنادي بالاقليمية وتبشر باليقظة بالواقع الاقليمي المحلي وغالبهم بل كلهم فرنسيون والغريب ان هذه الآراء قد تحققت ولكن بعد مر عشرين سنة. حققها كتاب أهليون مسلمون. ولا شك أنكم تذكرون اسماء مولود معمري ومولود فرعون ومحمد ذيب ومالك حداد وكاتب ياسين وان لجأ بعض هؤلاء الكتاب الاهالي في تفسيرا الواقع تفسيرا محليا كما هو الحال عند الكتاب المصريين المنضوين تحت لواء الواقعية الاشتراكية كعبد الرحمان الشرقاوي ويوسف ادريس... فلقد ادرك البعض الآخر المنزلة الانسانية مثل مالك حداد، وكاتب ياسين ونستطيع ان نقول ان كاتب ياسين بلغ اعماق الكيمياء اللغوية التي تزلزل في الوقت نفسه اركان اللغة وذات الكاتب الذى يستعملها. وليس من حقنا، حين نقرأ مؤلفاته ان نقول ان ياسين يتكلم لغة قاموسية او هو مجبور على استعمال لغة خاصة به.

وانه مظهر خارق للعادة وغريب جدا أن نرى هؤلاء الكتاب الثوريين المغاربة يرضون ويغرسون اللغة الفرنسية ويقيمون شرعيتها في شمال افريقيا ان هذه الظاهرة غريبة جدا.

ولكن علينا أن نتساءل في نفس الوقت هل تتعارض مع اللغة العربية أم لا وهل هي تعبر عن نفس الثورة وهل هي قادرة أم لا على تأدية نفس الكيمياء اللفظية التي تؤديها اللغة العربية التي يستعملها الكتاب المغاربة ؟ عليكم أن تردوا الجواب : ان هذا الادب العربي لم يزل مترعرعا. وهنا أود أن أقول أن هنالك اثرا قد استرعى انتباهي هو مسرحية "السد" التي الفها الاستاذ التونسي محمود المسعدي وهي مسرحية تحمل روحا إبسينية اعجبت بها ايما اعجاب. وحكمي هذا لايشوبه تعلق ولا يعميه الود الذى احمله شخصيا لصاحبها ولقد تصورها وفكرها صاحبها بالعربية والفرنسية في آن واحد ولكنها رغم هذا الازدواج صيغت في لغة فنية رائعة اعجب بها النقاد الشرقيون اعجابا كبيرا.

5 ـ العـوامـل اللغـويـة.

عند هذا الحد أترك هذا العرض الطويل عن الالهام الادبي. نعم الالهام والثقافة لاتعتبر حية الا عند هذا الحد. فيصل كتابنا في آخر الامر الى ان يحددوا بالتمرين الادبي الظاهرة الادبية ومع هذا، فهذه المشاكل ليست مشاكل جمالية ولكن مشاكل عملية لغوية في مستوى الحياة القومية حتى في جزئيتهاالتربوية...

فهنا لابد ان نقيم وان ندخل بعض الفوارق. علينا أن نبحث امامكم عما هي حياة الرجل المغربي اللغوية. لان هذا الرجل يرى نفسه قد تجاذبته واجهات لغوية متعددة وعوامل مختلفة.

أ ـ العامل الاول : لهجته العربية او البربرية التي تشكل استمرارا أصليا يربط بين قلبه وبين الارض التي يعيش عليها. هذه اللهجة هي لغة الام. لغة الامومة. اللغة العربية الفصحى هي اللغة الابوية.

نعم اللغة العربية الفصحى تحمل تاج الابوة. وقد يكون هذا الاب هو الله وعلينا أن لانسى ان القرآن الكريم ينفذ بفضل تربية الرجل المغربي وهو طفل صغير على الحصير في الكتاب الى اعمق اعماق التراكيب العقلية فالقرآن يرتبط ارتباطا لا ينفصم بنفسية الافراد والجماعات، تلك النفسية الحية المختلفـة.

ب ـ العامل الثاني : هو التعبير عن التراكيب الفكرية والتجريبية عند الكهل والحدث في المغرب هذا التعبير يقع عادة باللغة الفرنسية وعلينا أن نعترف أن هنا شكل آخر لهذا الاستعمال ناتج عن الصدمة والتهجم الذي لامناص من الاعتراف به على اصالة المغربي كما أشرنا.

ان الفرنسية، في مقدار واسع ورغم المجهوادت التربوية التي شملت البلدان المستقلة ومن قبل المدارس التي أسستها "جمعية العلماء الجزائريين". قد ابتزت مكانة اللغة العربية واستولت على وظيفة من وظائفها الكبرى وظيفة التعبير عن الحضارةفأدخلت هكذا اختلالا من واجبنا أن نجعله مصدر ثروة خصبة.

ج ـ العامل الثالث : يقع على صعيد التفاهم والمبادلات الفكرية هذه المبادلات التي أصبحت في مستوى عالمي وفي نطاق الحياة القومية همه التحسين من اللهجات أو التعبير عن مفاهيم اكثر رقيا من المفاهيم التي تعبر اللهجة عنها

د — اللغة العربية العصرية(1)

عند ذلك تستعمل اللغة التي نسميها بالعربية العصرية أو العربية الحديثة اعني عربية الصحافة وعربية الراديو وعربية المدارس والكتب المدرسية وهذه المبادلات تقع أيضا باللغة العربية وأحيانا بلغات أجنبية كالاسبانية والانكليزية مثلا وهكذا تشاهدون أمامكم على الاقل نظما ثلاثة وثلاث طبقات عقلية وثلاث لغات تتضارب وتتصادم كل واحدة منها مع الاخرى ولكنها تحمل فوائد وينتج عنها أخطار. وعلى كل نظام تربوي ان يفكر تفكيرا طويلا جديا في هذه الفوائد وفي تلك الاخطار فما هي هذه المنافع وهذه الاخطار ؟

6 — حرب اللغات منافع واخطار.

أ — اللهجة : أما اللهجة فتتمتع بطابع البداهة وبكونها لغة الامومة ولغة الشعب ولكن يجابهها ازدراء المتعصبين للفصحى الذين يرون فيها لهجة عاجزة عن التعبير الكلي ومن شأنها أن تقطع بين متكلمها وبين الشعوب العربية والاسلامية.

ب — الفصحى : واما العربية الفصحى فهي تتمتع بتاج المثل الاعلى الديني وبالاصالة والجمال وليست جملتي هذه اعادة قول يقال بل حقيقة ملموسة. فالفصحى تملك — في صورها ومفاهيمها — حياة دينية عميقة هذه الفصحى ستدخل عليها الحياة التاريخية انقلابا ولا شك بل ستتهجم على طابعها المقدس وتقوم أمامها الصعوبة الكبرى الجبارة التي يجابهها في تعليم العربية المستشرقون والشرقيون على السواء ولكنها تملك تلك الاصالة الخلاقة المبدعة الواسعة وتلك القيم التركيبية كما قلت.

ج — الفرنسية : واما اللغة الفرنسية فيعوقها طابعها الاجنبي ثم انها واكبت الاستعمار وجاءت معه وهي — الى حد كبير — اللغة التي أجبر الاستعمار على استعمالها ولكنها تتمتع بقيمها التربوية وبالتجاوب التي تحصل منها للانسان الثائر وانتم تعلمون المكانة التي احتلتها الفرنسية للتعبير عن رغبات المعارضة السياسية نفسها ونستطيع أن نقول ان اللغة الفرنسية وقد يبدو هذا القول غريبا حقا قامت بدور هام في تحرير بلدان المغرب من الهيمنة الاجنبية.

(1) عن هذه اللغة انظر كتاب الاستاذ L'arabe moderne : Vincent Monteil باريس 1960

د ـ العربية المعاصرة : واما العربية المعاصرة فهي تملك هذه القابلية الناجعة في التعبير عن كل فكرة من الافكار الحديثة ولا يوجد اليوم مفهوم فني أو عقلي صعب لا تقدر العربية المعاصرة أن تعبر عنه أو أن تجد له تعبيرا معادلا.

انني أعتقد أن العرب في هذا الميدان يتوهمون وجود صعوبات أكثر من الواقع فأول التجارب التربوية تعود في مصر الى حوالي سنة 1850 و1860 لقد عربوا في ذلك العصر المؤلفات الفنية الاجنبية تعريبا ناجحا. فكيف وقد مر قرن من التطور. ؟

ولكن تقوم ضد هذه اللغة العربية العصرية التي توحد بين العالم الاسلامي كله وتمكن شعوبه من التفاهم، من موريطانيا الى الفرس الايراني ، عامل هو أنها لا تنبع ولاتنبثق عن اللغة الشعبية . بل هي في مقدار واسع لغة بجماعة من الناس اعتبروا انفسهم مثقفين ولكن أقول عنهم أنهم جماعة من المتطمين، اعنى انها تحمل في كيانها لونا من التعليم المدرسي المقطوع عن التربة الحية والحياة الشعبية...

ه ـ الابطال الاربعة والتعريب : ان هؤلاء الابطال الاربعة الذين يلتقون وجها لوجه كل يوم في الحياة يحملون في ذاتهم مزايا ونقائص وعلى البيداغوجية القومية ان تختار من بينهم.

ولا بد أن أقول الآن كلمة عن هذا النقاش الثقافي الاساسي الذي يثور في البلدان العربية وفي بلادكم خاصة حول التعريب .

ان التعريب هو انتقال مفاهيم فنية وتجريبية اجنبية الى اللغة العربية المعاصرة وبفضل تعريب مؤلفات انكليزية او فرنسية او اسبانية أو غيرها الى اللغة العربية المعاصرة تصبح اللغة العربية لغة مؤدية للمفاهيم والافكار مروجة لها.

ومع هذا فغالب هذه التجارب البيداغوجية ـ ولتسمحوا لي ألا أتحدث الا عن الشرق العربي عامة دون الاشارة الى النظم المحلية التي لا أملك عنها ارشادات واخبارا كافية ـ قد فشلت لانني أراهم من أجل هذا يقومون بمجهود كبير حتى يظهروا القيم الاخبارية التي تملكها اللغة دون الاهتمام بالقيم الرمزية و"الاشارية" الباطنية والقيم المرجعية التي تشير الى عالم ملموس تحتوي عليه اللغة. اللغة التي هي مظاهر الروح الجماعية ولكن ليست القيمة

هى التى تهم وحدها فى لغة من اللغات بل وكذلك القيمة المرجعية العميقة توجدها بين مظهرين مختلفي القيمة العميقة بين الاجواء النفسانية والافراد والجماعة من جهة وبين عالم المحسوسات من جهة اخرى وهذا يؤدينا الى هذه الحقيقة السافرة البسيطة البديهية فنقول : "ان الثقافة لاتقوم بدون لغة ولكن لا وجود كذلك لثقافة دون محتوى"

وانتم لو تصفحتم المناقشات التى ثارت وما زالت تثور فى مجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وبغداد منذ ثلاثين سنة لاكتشفتم وادركتم ان مشكلة التعريب هذه لم يتصد لها المناقشون العلماء — ان لم تخنى معلوماتى — الا من الناحية اللغوية القاموسية فقط اعنى الناحية البتراء الهزيلة التى تمس اللغة من زاوية ضيقة جدا والتى لا يمكن أن تفيدكم فى آخر الامر الا افادة قليلة نزرة.

ان الصعوبات الجبارة التى يصطدم بها المربون تجدون ذكرها فى مقال للدكتور جميل صليبا عميد كلية التربية نشره بمجلة المجمع العلمى العربي بدمشق وفي هذا المقال اماط الكاتب اللثام عن المآسي العديدة التي يتعرض اليها معلمو العربية الفصحى فى سوريا وسوريا كما تعلمون زعيمة العروبة في ميدان اللغة. وعليكم أنتم في تونس أن تجدوا الحلول الملائمة بين اللغة وبين التعبير أو بعبارة أخرى ما يمكن أن تدخلوه في دائرة الثقافة كما وصفتها لكم، لان اللغة رابطة وحاجز معا وهي تقوم بين الانسان وبين العالم. وهي تذكرك بالمكانة الكبرى التي احتلتها الكلمات الاجنبية في الحياة الفنية وفي التعبير عن الوجود، هذا التعبير الذي يقع أحيانا باللغات الاجنبية المسيطرة التي تحمل هكذا في ذاتها اختلاسا بالنسبة لميدان الروح وربما يعود الى الانسان الذي افترضناه أعني الانسان المغربي ذا اللغة العربية الكلاسيكية

ان طريقة التدوين الناجحة هي ان لا تقيمها حضارتكم على القيم الاخبارية وحدها بل على التجاوب بين هذه اللغة وبين الحضارة حضارة الملموس وبين عالم الاصالة اعني انبعاث كلاسيكية مغربية.

7 — امنيتي :

انني اتمنى — إن أمكن — أن تعنى التربية العربية بهاتين الناحيتين :

أولا : تعلم الكلاسيكية من ناحية وتعلم العالم الملموس والواقع من ناحية أخرى وبالعكس فلا بد من التخلص من القيم الاخبارية ومن القيم التربوية الثقافية التي تبعثها اللغة الفرنسية.

ولكن هنالك أمور تبدو لي خارج نطاق حديثنا هذا هو ما ينبغي الاستيلاء عليه من المعادلة بين الاشياء الملموسة وبين "الاشارة" (Signes?) (1) هذه المعادلة هي الثقافة الحق

ان الاستقلال الوطني ان نحن فكرنا في معناه الحقيقي تفكيرا مليا يمكن في الاستيلاء الاهلي من جديد على حقائق الوجود والواقع المادي بوسيلة رموز واشارات هاته الرموز التي كان رمز الحرية اخصبها وأكثرها فعالية في معركة الاستقلال.

واذا ما تم الاستقلال لشعب من الشعوب فاني اعتقد ان العمل الاكبر الذي ينتظر ذلك الشعب هو أن يتحصل بفضل رموز جديدة واشارات جديدة على لغة ثقافية جديدة اعني الاستيلاء على الاشياء الملموسة وخلق عالم ملموس واذا ما أمكن هاته الشعوب الوصول الى التغلب على آفة من آفاتها ومرض من أمراضها فتعلم البلدان التي كانت مستعمرة سابقا ان عالم التقسيم والتجزئة يمكن أن يصبح هو ذاته عالم التبادل الخصب تبادل في ميدان الثقافة وفي غيرها من الميادين المتعددة التي قد تتألم من عدم وجودها شمال افريقيا

أنتهي بهذه النظرة المتفائلة أو قل بهذه الامنية وانني لا ألتجىء الى صورة عزيزة على نفسي لاصف المغرب فأقول ان موقعه بين العالم العربي والعالم اللاتيني يجعله شبيها بما كانت عليه أرض الاندلس في القرون الوسطى.

وانني أتمنى أن تصبح هذه الاندلس الجديدة التي اضاءها العرب مرتين اندلسا مستعـــادة.

تعريب محمد فريد غازي

---

(1) آخر كتاب نشره الاستاذ مرلو بنتي (Merleau Ponty) قبل وفاته يحمل عنوان "اشارات" (Signes) وهو يذكرنا بابن سينا التوحيدي وكتابه : "الاشارات والتنبيهات".

مهرجان الربيع

شعر : محمد لنده

(هي قصيدة القاها الشاعر الشاب في مهرجان الربيع نقتطف منها هذين المقطعين)

بسم الروض يارفاقي، وغنانا هزار الربيع، والكون أشرق
وبدا الزهر في غلالته البيضاء، وافتر ثغره وتألق
لاح يختال فاتن اللون في ثوب قشيب من الجمال، منمق
فارتدت(سوسة)(1) البهية اسنى حلل ، وازدهت بورد وزنبق
وتهادت ترف في مهرجان النور، والسحر من سناها تدفق
وسرى حسنها يوشي رياضا، فنما فرعها النضير، واورق
واذا (القيروان)(1) دنيا اخضرار، ورؤى تزدهي وسحر ورونق
فتجلت اطياف نور ورفت وامحت دجية الظلام المحدق
وتبدت طلائع الامل الحلو ،وحن الفؤاد شوقا وصفق
الربيع الحبيب عاد الى القلب، فمن زهره الاماني تحقق

....

ايه يا شاعر الجمال تبسم، وترنم بأعذب الاغنيات
وانطلق في فضائك الشاسع البسام حرا وحي فجر الحياة
واملأ الكون بهجة، وسرورا واسكب اللحن ساحر النغمات
واتل آي الضياء تهتز نشوى حرة في المواكب الخالدات
فالشحارير هللت طربا، تهفو اليها عرائس الغانيات
صفقت مهجة لها فرحا، وافتر ثغر باعذب البسمات
حبذا البشريات رف لها القلب انتشاء وفاض بالامنيات
فاذا بالبلاد في نشوة الفرحة بين الهتاف، والزغردات
قد تبدت كأنها يوم عرس حافل في العشي والغدوات
تملأ النفس بهجة، فيعم البشر كل القلوب والمهجات

محمد لنده

(1) اشارة الى مدينة سوسة والقيروان اللتين أقيم فيهما مهرجان الربيع للشباب في 29، 30، 31 مارس 1963

حديث بين النثر والشعر

بقلم : مصطفى آغا

النثــر : لقد ذهبت بك رنة الاوزان، الى الخروج عن الميدان، حتى تجاوزت الحد، وجئت احيانا بالضد، فما قيمة هذا الانشاد الذى يحيد بصاحبه عن الرشاد، فينقص ويزيد، ويأتى بما يريد، وهكذا اذا سبحت في احدى بحارك، بقيت فيه بغير اختيارك، فلا تفارق الاعماق، ولو بلغت الروح التلاق، ولا يمسك من لغوب، الا اذا نفدت الضروب، فعندها ترفع رأسك، وتصعد أنفاسك، وتنظر فيما صنعت، وتتمعن فيما اخترعت، فترى أنك قلت غير ما أردت، وابتعدت عما قصدت، فما يكون العمل وقد سبق السيف العذل. وتم صوغ القصيد، وجاءك العقد الفريد، فهل يسوغ ان تتخطى تلك الحدود، وتضيع ما بذلت من الجهود. وقد تم ذلك العمل الجسيم، وبرز في أجمل بزة وأحسن تقويم، وهو في حلته الرائعة، يحاكي الغادة المائعة، وهي ترنو اليك بطرفها، وترجوك ان لاتقدح في ظرفها، تقول لك بدلال، يسيل معه السحر الحلال، فما قيمة هذا المبدأ، الذى صيرك عبدا، فدع القول، بربك للثرثار، فانهم لبقاء احرار، ولا تخش ملامة من الناس، فليس بناقد من غير ربة القول وامالة الراس، فلا تعنيف ولا لوم، فما أنت الا مرقص القوم، تعاطيهم بكأس لاطلا بل طلاوه، حتى تنزل على بصائرهم الغشاوة، هذه نتيجة أبياتك، وما اوحته اليك فتاتك، لقد زعمت أنانجح طريقه، هي الاعتماد على الموسيقى، فضربت أوتادك واسبابك، وتماديت في زهوك واعجابك.

الشعــر : على رسلك يا صاحب الترسل، ويا أبا المكرور المسترسل، لعمرك قد ملأت الاسماع، ولم تصل الى درجة الاقناع، فكم بينت وفسرت، وعممت وخصصت، وكم طرقت سبيل الاسهاب، وارهقت السادة الكتاب، هذا بعد حشر الاقوال، وضرب الامثال، فإذا سليت أطلت الخطاب، ولكن لم تصب به كبد المصاب، وتماديت في تعذيبه، حتى تمنى اللحاق بقريبه، واذ هنأت اطنبت، وتوسعت واستطردت، واستخرجت ما في أعماق المناجم، وحشرت ما في بطون المعاجم.

النثــر : أما انا فإني اراك ان اتيت برشيق، فذلك بدون قصد بل يدفعك اليه المضيق، فتنهبه الى اقتدارك، وليس هو حق كدك واستدراك

الشعــر : هلا دفعك ما دفعني، ونفعك ما نفعني، ودخلت من هذا المضيق، واتيت بالحسن الرشيق.

النثــــر :حاشا أن أنكر منته، واجحد نعمته، فقد مهد لي السبيل ووسائل التحليل. وافسح لي فسلكته على مقتضى الحال، فلاتجاوزت الحد، ولا استوجبت قطع اليـــد.

الشعــر : ما معنى قطع اليد، وما دخلها في هذا الصدد، ولسنا في مقام تشريع، بل نحن في تشطير وتصريع وعهدي بك مكثار، لامهذار ولا ثرثار، فهل بك مرض، أو أعماك الغرض، فإذا تماديت على هذا المنوال فإني مفارقك في الحال.

النثــــر : هل يستوي الذي يستخدم بيانه، والذي يعتمد على شيطانه، فيناوله من أزهاره، وينفث من اسحاره واذا بخالل الاختصار، يستلفت الانظار، ومصيبة الاقتضاب، قد خلبت الالباب، والحذف والاكتفاء، فيه منافع وشفاء، والتلويح والتلميح، اغنيا عن التصريح، وقامت الاشارة مقام العبارة، واعلم يا أبا الشطور، انني ما ذكرت الا ما هو مشهور، فقضية الاختلاس، لاتجهلها الناس، فقد شملها الانتقاد، وكتب فيها النقاد، ورتبوها أقساما وأبوابا فقضوا بالقطع على من بلغت نصابا. واكتفوا بالتعزير والملام، فيما بقي من الاقتسام.

الشعــر : ان كان مجلسك الحكم، فليس ذلك بالامر المهم، فلا قيمة لهذا القضاء، ولا يشمله منا الرضى، ولا نعد هذه الدعاوى الغريبة، الا من باب الحسد والغيبه، والا قل لي يا ابا الترسل، هل تحسن ان تصف وتتغزل،

النثــــر : كيف لا يا أبا العلل، وانا رب المال والخول: وكيف ترتاب يا عبد الخليل، في مقدرتي وباعي الطويل. انه اطول من طويلك، وامد من مديدك، واخف من خفيفك، وأسرع من سريعك، وأوفر من وافرك واكمل من كاملك، قسما لولا نفخ شيطانك في العقد، لما اصغى اليك أحد، فكثير ما وضعت الحال في موضع الاستقبال، وحشوت الكلام بما عليه تلام، مساقا اليه بسياط الأوزان، ومغازلة القوافي الحسان، وانك ما ارتضيت ذلك الحشو الفضيع، الا من بعد ان تراءت القافية بمحياها البديع. فذهلت عن الحسن والاحسن، وسودت الفراغ بما امكن، وحدت عن منهج الاصابة لتصل الى تلك الخلابة، ولربما توافيك أخرى بوجه

دميم، وقوام غير مستقيم، لاوجه لقبولها ولا محل، بل مكره أخاك لابطل.

الشعر . ان ماجعلته اضطرارا، ارتكبته انتاختيارا، قسما انك لشيء عجب، ترى القذى في عين غيرك ولا ترى في عينك الخشب، ولقد أكثرت من تعداد عيوبي، ومس كرامة أعاريضي وضروبي ، ولم تقم عليه أي دليل بل كل ضلال وتضليل.

النثر :وهل يا أبا العلة تحتاج الى أدلة وقد ملأت الاسفار بمثل هذه الاشعار، الست انت القائل :

نصحتك فالتمس ياليث غيري طعاما ان لحمي كان مرا

اتجهل زيادة كان، في هذا المكان، فلولاك لما وجد لها أثر، بل يكون خبران كلمة مر، وليس في الامكان، العدول عما كان، ثم قلت :

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

اليس مراد القائل عالم وجاهل، اذ لاوجه للمبالغة في احدهما دون الآخر، وهذا لعمري واضح ظاهر . ثم قلت :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

فما هذه الاضاليل، يا أبا التفاعيل، فما أقدرك على الضبط، وما احكمك للربط ولله در هذه الاوزان، فكم سترت من عيب وبهتان، ولعمري ان هذا البيت من الاعاجيب، وما أشبهه بحديث المجاذيب، أتزايد بهناتك أم جن شيطانك، حتى صرت تعرف بما لاتهرف، ثم استبلهت القوم، فلم تعد تخشى اللوم، والآن يا أبا الاضطرار. قد اتضح النهار ، فلنقتصر على ما جرى، ونعود الى نزلة أخرى، وتكون فاتحتنا اجراء التحقيق، على هذا البيت العتيق.

القسم الثاني

الشعر : قسما لو أعانك شيطاني، لنفحك بشيء من بياني، ولكنه أبى واستكبر أن يمدحك وأنت تحشر وتستكثر، وقال لاأرتضي الدخول في الغوغاء ولا أطيق استماع الضوضاء، أتزعم انك تسخر من هذا الشيطان، ولكنه

ليس الحقيقة بل مكر وبهتان، قسما لو وجدت اليه سبيلا، لاتخذته صفيا وخليلا.

النثـــر : ها رجعت يا أبا العروض، لما هو عليك مفروض، أو لست فرعي وقسما من نتاج زرعي، ولي عليك اكبر النعم، وهو ايجادك من عدم، فدع العقوق، واعتبر ما بيننا من الفروق، ولعمرك قد صيرت الجو عدلا، والاسراف جودا وبذلا، وصعدت بالدني، ونزلت بالسري، ورغت مع الزمان، فكنت حيث كان ألست في الذكر الحكيم مذموما، ونقيصة لمن كان معصوما، ألم يشهد عليك المنزل، فأنك تقول ما لاتفعل، وتهيم في كل واد، ورجالك يتبعهم الغاوون من العباد.

الشعـــر . اقصر من بذائك، وخفف من غلوائك، فما اجتماعنا اليوم، للتعنيف واللوم، بل للنظر والتحقيق، في البيت الذي تدعوه بالبيت العتيق. وهو :

هـل غـادر الشعراء من متـــردم   أم هل عرفت الدار بعـد تـوهـم

وقلت انها من الاعاجيب، او من كلام المجاذيب، أتظن يا ذا الرأى الفاتر، أنه وصل لكم بالتواتر، ام نزل من السماء، أم أجمعت عليه العلماء، أم تزعم أنه قديم، ملحق بالذكر الحكيم، تولى حفظه الرحمان، فلا زيادة ولانقصان، الم تفكر بأن لهذا العجز صدرا دثر، ولذلك الصدر عجز قبر، فضمتها الحفاظ، من الاحتراز والامتعاظ، ومع ذلك فلازال الى اليوم من يعتبر ان معناه صحيحه، ولكن لم تتوصل اليها القريحة، أما أنت فما فعل صوابك، وما انتج خطابك، فقد فقتك بالخطاء والصواب، وان في ذلك لعبرة لاولي الالباب

النثـــر : الم تنطلع على رسائلي الفتانة، وخطبي الرنانه، مما ليس في تعداده فائدة، بل يكفيك قول قس بن ساعده

الشعـــر : لا أجهل رسائلك الفخيمة، ولا خطبك الحكيمة، ولا تأثيرك على السامعين، ولا ارشادك للضالين، ولا انكر ثروتك الطائلة، وصورتها الحائلة، ولكن بعد كل هذا اذا انقلبت شعرا، زادت نفاسة وغلت سعرا وارتسمت في الاذهان، ولا يردده لسان، فكم قلت في بقاء الله، وفناء ما عداه، فلو وزنت كل ما قلته من قديم وجديد، لرجحت به كفة لبيد حيث يقول :

الاكل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل

وهل جئت في سيل مديحك بفائده، تعادل ما قيل في معن بن زائده. وهو :

أيا جود معن ناج معنا بجوده   فليس الى معن سواك سبيل.

⁂

يقولون معن لازكاة لماله   وكيف يزكي المال من هو باذله

اذا حال حول لم تجد في دياره   من(1) إلا ذكره وشمائله

ولولم يجد في كفه غير روحه   لجاد بها. فليتق الله سائله

لقد سألتك من أمد قريب، هل تحسن الوصف والتشبيب، فلم احض بجواب، بل بتقريع وسباب وعجب وافتخار، وعتو واستكبار، فهل أنت الآن أحسن حال. وأهدأ نفسا وأنعم بال، فتشنيف السامع، بينبوع غزلك الهامع، فقل ان شئت في وصف روضة فائقة، وزهور وساقية، وغادة ساقية.

النثر : اليك روضة فيحاء، وحديقة غناء، قد ذكرتنا بنعيم الجنان، مما وعد الرحمان، عيون النرجس بها ناظره، ووجنات الورود فيها ناظره. سيول لؤلؤيه، تنحدر من ساقية مرمرية وغانية تطوف بكاس، عصرت فيها من خدرها للناس.

الشعر : ليس هذا من قولك، ولامن قدرتك وحولك، بل قطعة مني وقدح من دني، فلا يكون حجة ضدي، لانه يتألف من نصف ما عندي، ان فيه سلاف القافية، وان كانت غير كافية فهات من الترسل، ودع عنك التنصل.

النثر : أتزعم أن السجع من بعضك، وانه رشفة من حوضك، اتجهل أنه من بعض أجزائي، بل هو اول أبنائي، ولولاه لما ذكر، ولما وجد له أثر، فإذا تبين أن السجع من أبنائي فأنت ولا شك من أحفادي ولكن المروق، والعجب والعقوق، ورنة الاوزان، لقنتك الغواية والعصيان فتعاليت كثيرا، وعتوت عتوا كبيرا.

الشعر : وهل تجديك الابوه، اذا أعوزتك القوة وهب أني من الاحفاد،

(1) البياض موجود في المخطوط

وأنت من الاجداد، فقد نبت النرجس من بصل، وافترق عنه وانفصل، والآن ارغب منك أن تقول الجد، وتتغزل بلغة الجد، من قبل العقد والبناء، وقبل أن ترزق بالابناء، ودع دعوى الابوه، فهي لاتكسبك فخرا ولا مروه، فقد يفوق الفرع الاصل، كما فاق الحديد النصل.

النثـــر : انا لا أعترف ان بيني وبين السجع فرقا، وان بعضا من كليّ أسمى وأرقى، فانبذ فكرة التفريق، واعتزل هذه الطريق، فالمجموع منها ومنك هو ثروتي ونصيبي، والوصف وصفي والنسيب نسيبي، فقل أنت يا أبا القافية كيف تقول في الساقية :

الشعـر : هاك ما أقول يا أبا التطويل، تحت سيطرة الضروب وحكم الخليل :

نديمتي جارية ساقية ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة وجنة أعينها جاريه

قسما لو افعمت الصحائف، وحليتها باللطائف والطرائف، وأجريت اليراع فوق المستطاع، حتى استلقى من تعب، وشكا من نصب، لما بلغت ما بهذين البيتين، ولا بلغت قاب قوسين، والآن هل قلت في السلافة، يا أبا الصحافة.

النثـــر : وهل تركت ثمالة في كأس، وصاحبك أبونواس، كلا بل شرفتها نخبا واغتصبتها غصبا، فإن أقول أكون مقتفيا لما رسمته، وناثرا لما نظمته، فإن امتزج بالراح، وأطل من الاقداح، وطفا بين الحباب، ليغوى عزة والرباب، فلا حاجة الى أن أقول، فقولي ما له من قبول، ولايغرنك هذا الاقرار، فليس لك فيه فضل ولافخار، فما عملك الا خداع وبهتان، ورجس من عمل الشيطان.

الشعـر : اراك تقول إني ان قلت في الخمر اقتفيت آثارك، فهل نثرت أشعارك، أتحسب أنه من الممكن اقتفاء اثري بتلك الخطى، وهي على ما أعهده من التواني والابطاء، ثم تزعم أنك تنثر شعري، وتشاركني في أمري، وهبك بذلت الجهود فهل تأتي بالمقصود، قسما لاتنال منه الارب، بل ان جنيت فما جنيت الا الشهد لاالضرب، أو ينقلب الدر عقيقا، والورد شقيقا، فحذار من هذا الطريق الخطير، فلا يوصلك الا لزيادة التحبير، وسر على هينك والا سعيت الى حينك، فإن احرزت على نثري، وعمدت الى هصري

فإنك على هذه الحالة، هالك لامحالة، والان قد عسعس الظلام، وتضاءلت الاجرام، وضاق المجال، ووجب الترحال، وسآتيك بنبإ جديد، وليس ذلك ببعيد.

الحديث الثالث

النثـــر : لقد رميتني بالابطاء، يا أبا الابطاء، وزعمت أن لن أبلغ المقصود، ولو بذلت الجهود، ثم حذرتني من محاولة نثرك، والمداخلة في أمرك، فشكرا لك على هذا الانذار ،فلقد وقيتني من أعظم الاخطار، وشكرا على ما ابديت من نصيحة وأوجه صحيحة أما الابطاء وقصر الخطى، هو ممدوح مع الاصابة وانسب ممن اضاع بالاسراع صوابه، لان كثيرا من الاشعار، تقام على شفا جرف هار، معتمدة على الفهم السقيم، واعانة قرينها الرجيم، واليك هذا :

نظر العيون الى العيـــون هو الـذي جعل الهـلاك الى الفـؤاد سبيـــلا

إن هذا البيت له بعض تأثير ، على ذي النظر الحسير، اما الذي لايعشو عن الصواب، ولايقع الا على اللباب، يعلم ما بالبيت من اخلال، رغما على الرشاقة والجمال، اذ ينبغي أن يقام هذا البيت على اربعة عمد، سبب وطريق ومتطرق وحد، ولم اجد له الا ثلاثة فقط فكيف قام على هذا النمط .

الشعـر : قسما لم أفهم تصريحك، ولا ادركت تلويحك، ولاي سبب إدخال هذه الاعمدة قائمة وممدة ،فما شأننا والصروح، يا أبا الشروح، فزدني بربك بيانا، واقم لي على دعواك برهانا، علني أبلغ الاسباب، أسباب العبقرية فأطلع الى سماء الصواب.

النثـــر : هذا البيت مشيد المبنى، متهدم المعنى، لاأنكر أنه كاد أن يكون رشيقا، لو أوجدت للهلاك طريقا، أما والهلاك هو السبيل، فقد فضحت العربية يا أبا الترفيل، وعبثت بالمعنى السديد، وعوضته بالترنم والترديد، ولعمري ان تأثيرك لشديد، ولكن على الثمل العميد، ذاك الذي يرى كل وجه جميلا وكل كلام تنزيلا، يردده فيزيده تحريفا ويمزجه طويلا وخفيفا.

الشعـر : هذا البيت مضت عليه القرون، وترنمت به الشعراء وتبعهم الغاوون

وارتاحت له الافكار، وخلدته الاسفار، ولازال الى اليوم موضع الاعجاب، يردده ذووا الالباب، ولا حدجته أعين الانتقاد، ولامسته أيدي النقاد.

النثـــر : الم اقل لك ان عمل فيهم السحر، وقبض منهم على النحر، فلا يشعرون بزيادة أو نقص، بل دأبهم اذا قيل الترنم والرقص، والا كيف سلم من الانتقاد، مثل هذا الانشاد قسما لو تلمسه الاعمى بيديه، لانكره وانتقد عليه.

الشعــر : الى متى هذا الاسهاب، وحتى م هذا السباب، الم يئن لك أن تتبين الزلل، وتعين موضع الخلل،

النثـــر : ان الامر بسيط، يا أبا التسميط، اجعل طريقا للاهلاك، ليمر عليه الى الفؤاد الهلاك، واما ان تجعل الهلاك طريقا وهو المتطرق، فهذا مما لا يعقل ولايصدق، وارى انك تكتفي أن تشير، ولاتلتفت الى مطابقة النظير، فلو تأملت في البيت مليا، لبان لك الخطا جليا، ولكنك اكتفيت باقتناع الناس، وتحريك الاحساس، وسواء ان كان هذا الاقناع، عندك حقيقة او غشا، او عين الخداع.

الشعــر . لقد ضللت الطريق، أيها الرفيق، وتوسعت في التحليل والتفسير، بغير علم ولا كتاب منير، لقد عشوت على رابع العمد، وطفقت تفتش عليه بجد وكد، والحال انه أمامك، لو ارتطمت به لاقيمت حمامك، ان النظر هو السبب وهو الغائل الفتاك، القادم على طريق الهلاك، فالهلاك حينئذ هو للنظر مهاد، يتمشى عليه الى الفؤاد، والآن وقد وحدنا رابع العمد، فلم يبق لك في البيت منتقد.

النثـــر : ما هذا الحل السخيف، يا أبا التفويف، لعمرك اذا فارقك شيطانك، طار تأثيرك وبيانك، فإذا أردت اقناع القوم بعد هذه الفضيحة، فإليك مني هذه النصيحة، انظم هذه التآويل وادخلها في مضايق الخليل، وقيض لها شيطانك، ليزين لهم أعمالك، أما بغير الشعر واعانة المارد، فإنك تضرب في حديد بارد، قسما لايفهم واحد ولو أقل من النبيه، ان النظر في وقت واحد يحمل الهلاك ويسير عليه، ولكن دعنا من هذا المجال، فلا فائدة في الجدال، ولا يجديني هذا الادعاء، فلست بمسمع الصم الدعاء وهاك بيتا اراه غريبا خصيبا وجديبا.

وكـم ليلـة قـد بت انعم جنحهـا بمخصبة الارداف مجدبـة الخصر

فيال الله ما اثقل كلمة الجدب، على مسامع الصب فإلى أي حد يصل هذا الخصب، والى أي غاية يقف ذاك الجدب، فإذا بلغا حديهما، فلا خير في كليهما،وان وقفا عندما تريد، فهذا شيء جديد، من بدع الافانين، يختص بالشياطين.

الشعر : انا ما قلت الا المعتاد، عند من عليهم الاعتماد، اذ الحد عندهم معروف والتغزل فيه مكرر مألوف فلا حاجة لهم بالحد. لانهم لايخشون جزرا ولا مد، وأما كون الجدب لايتحمله الصب، ولا يطيق استماعه، بل يسبب ارتياعه، فهذا ضلال مبين، وبعد عن علم اليقين، الم تعلم يا منعم الفراغ، أن هذا الصب قبل عقارب الاصداغ، ولم يخش على الصدغ، من غائلة اللدغ، الم تعلم بأنه يشعر بأذى خطر، عند التواء حية الشعر، ثم بعد ذاك يا أبا الاطلاق، أراك غفلت عن حسن الطباق،.

النثــر : انا لاأنكر جمال البديع، يا ابا التشريع، ولكن بعد متانة المبنى، وصحة المعنى، وإلا فهو كالثوب الجميل، على الجسد العليل، واعلم يا أبا الاجازه، ان لي صفة ممتازة، ليس لها شبه أو نظير، فالحمد لله الذي فضلنا على كثير، فالذكر والحديث مني، فان لم يكفك هذا فإليك عني، واني لاأطيق الحوار، مع جاحد كفار، فهل بقي لك غير قد مياس، ونديم وساقية وكأس، ولحظ ادعج، وجبين أبلج.

الشعــر : اهذا كل ما بقي يا أخا الخطب، من كل مواضيع العرب، أنسيت الاخلاق، وكم لي فيها من خلاق أتصاممت عن الحماس، وقوة تأثيره على الناس، أتعاميت على التأبين، وتعداد شمائل الدفين، ألست المضرم نار الكفاح، وناشر أجنحة السلام والاصلاح، أما قمت بما قامت به الصحافة قبل انتشار الثقافة، وليس هناك الا نوق ونخيل، وانا تحت سلطاني لا سلطان الخليل والآن وقد ظللني بحمايته، ونظرني بعين عنايته، فزدت بفضله نشاطا، وتجنبت اخلالا واغلاطا.

النثــر : ما هذا التطويح، يا أبا التوشيح، أعازم على سرد تاريخ حياتك، وتطورك في حضارتك وفلاتك وهل عندنا من الاوقات، ما يكفي لهذه الترهات، فدعني من حريتك بين عيرك ونخيلك، وحضارتك واسترقاقك

اخليلك، فلست اليها تواقا، ولا لسماعها مشتاقا، وعج بنا الى اقوالك فهو مرآة خذلانك، ومنها ترى صور غانياتك، تسرى في اجواء أبياتك.

الشعـر : الم تعلم يا صاحب الغواية، انه لولا غانيتي ما نجحتلك رواية، فقد التجأت اليها، وعولت في النجاح عليها، ولعمرك لولاها، لما حمدت عقباها، أنا أقول اذا نظرت اليها، وأنت تستقدمها لتفترى عليها، فمن اعظم منا جرما، وأحط منا مقاما وعلما، ولولاى ما سهات فنونك، ولا ساغ حفظ متونك، ولا كان تلميذك للفهم أهلا، الا اذا صار المسكين كهلا، وإني لما تجرعت من حشرك، عصرت شهدى فوق صبرك، فساغ شرابه، وتقاص عذابه، وأقبل عليه من كل الفجاج، من تجرعوا منك الملح الاجاج.

النثـــر : ان شهدك المسكوب، قولك يا أبا العيوب :

إن المكـــارم أخـــلاق مطهـــــرة بـــالعقـل اولهـــا والديـن ثـانيهــــا
والعلـــم ثـــالثهـــا والصبـــر رابعهـــا والجـــود خـامسهـا والعرف ساديها
والبر ســابعهـا، والحلـــم ثامنهـــــا والشكـــر تـاسعهـــا واللين عـاشيهـا

فمن أجازك هذا اللعب : يا أبا المقتضب

الشعـر : لو علمت لمن تنسب هذه السطور، لاانتفضت انتفاض العصفور، ووجمت وجوم البغثان أمام العقبان

النثـــر : انا لا شأن لي مع القائلين، تعالوا ام كانوا من الصاغرين، وانما شأني معك، عسى ان ارشدك وانفعك، ان هذا النظم، عسير الهضم، وقد ذهب زمان الرقص، واقبل زمان الفحص، وفج ذلك الذوق، وشبت عن الطوق وفي هذا القدر كفاية وان لم تبلغ النهاية فإذا التقينا مرة اخرى فسيكون حديثنا عبرة وذكرى.

« نكبة المرج »

شعر : سعد الغزال

يَا بَلْدَةَ المَرْجِ ، يَا إحْدَى ضَحَايَانَا
لَبَّيْكِ فَالوَاجِبُ المحْتُومُ نَادَانَا
فَإِنْ بَكَيْتَ عَلَى الْمَوْتَى وَآلِهِمُ
فَقَدْ بَكَيْنَا اذ الامواتُ مَوْتَانَا
يَا رَجَّةً قَدْ جَرَى تَيَّارُ مِحْنَتِهَا
فِي قَلْبِ مَغْرِبِنَا فَاهْتَزَّ حَيْرَانَا
وَقَدْ تَكَاثَرَتِ الأَرْزَاءُ فِي وَطَنٍ
مِنَ الأَعَاصِيرِ وَالزِّلْزَالِ بَلْوَانَا
بِقَابُسٍ وَبِفَاسٍ فَاضَ سَيْلُهُمَا
فَاجْتَاحَهَا مُدُنًا وَاشْتَدَّ غَضْبَانَا
وَاليَوْمَ بِالمَرْجِ أَنَّتْ تُرْبَةٌ وَرَمَتْ
قَذَائِفَ الرُّعْبِ أَشْكَالاً وَأَلْوَانَا
وَبَغْتَةً زَعْزَعَ الزِّلْزَالُ قَرْيَتَنَا
وَمَوْكِبُ الحُزْنِ فِي أَرْجَائِهَا بَانَا
وَدَبَّ فِي كُلِّ نَفْسٍ ـ وَقْتَهَا ـ هَلَعٌ
وَالرُّعْبُ فِي كُلِّ قَلْبٍ ـ عِنْدَهَا ـ رَانَا
تَكَلَّمَتْ طَبَقَاتُ الارْضِ مُعْلِنَةً
إزْعَاجَنَا، إنَّ زِلْزَالاً تَحَدَّانَا
أَرَادَ أَنْ يَمْحُوَ الزِّلْزَالُ قَرْيَتَنَا
مِنَ الوُجُود، وَأَنْ يَغْتَالَ سُكَّانَا
وَرَغْمَ ذَا الْهَوْلِ لَمْ نَفْقِدْ شَجَاعَتَنَا
فَكَانَ مَغْرِبُنَا لِلامْرِ يَقْظَانَا
تَسَابَقَ الكُلُّ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ كُرَبٍ
وَلِلْمُوَاسَاةِ إِخْوَانًا وَجِيرَانَا

س. غ.
البئر الاحمر ـ ولاية مدنين

عـــــــودة

اقصوصة بقلم : رشيد الغالي

۰۰۰ ادخل حامد يده الى جيبه وأخرج سيجارة ، ثم دخل المقهى التى يمر بها كل صباح لتناول قهوة ۰۰۰ وفيما هو يرفع الى شفتيه فنجان القهــوة أحس بأن الايام تمر متشابهة ، رتيبة ۰۰ مملة ۰

وجرع قهوته بسرعة ثم اتجه نحو عمله ۰۰۰ وعاد اليه احساسه بالرتابة والملل عند ما دار مع المنعرج الذى يقوده الى مقــر عمله ، ۰۰۰ لقــد مر من هذا المنعرج مرات كثيرة حتى أصبح ينتهى اليه ويعبره بدون أن يرفع رأسه أو يفكر فى هيئته ۰۰۰

كم فقد هذا المنعرج من بهجته ؟ بل كم فقد لديه هذا المنعرج ذلك الوقع الجميل وتلك الاحاسيس التى هفت بذاته وهو يعبره أول مرة ؟

وانتهى حامد الى بناية عمله ۰۰۰ انها منتصبة فى مكانها ، ساكنة ، بلونها الشاحب ! واستقبله البواب كعادته بابتسامته الباردة :

ـ صباح الخير سيدى حامد ؟

ورد عليه حامد باشارة ۰۰۰ ان البواب أيضا لم يعــد يضحكــه بقامتــه القصيرة او بتململه فى مشيته او بعينيه المتراقصتين بل فقد لديه كل شىء ؟

واخيرا أحس أنه يدور فى خضم دوامة آلية قاسية ۰۰۰

واستقبله زملاؤه وزميلاته بكل بشاشة ۰۰۰ كالعادة ؟ فأخذ يرمقهم فى شىء من السهوم ۰۰۰ وأخرجه صوت مريم أكبر الزميلات سنا ، من صمته:

ـ أقدم لك سلوى ؟ رفيقة جديدة فى العمل ؟

ـ أهلا ؟ تشرفنا ؟

وانطلق لسانه فجأة ، من عقاله ۰۰۰ وتحدث فى مواضيع مختلفة كثيرة ، وطغى على الموقف ۰ فقالت احداهن مداعبة : انى أبغض الفلاسفة؟ واستطردت أخرى : انى أبغض الفلسفة لا الفلاسفة ؟ ثم علق أحد الزملاء : لان الفلاسفة ثنائيون ۰۰۰ ؟ واسعفه الجرس فافترق الجمع ۰

وقبل اتجاهه الى مكتبه ألقى نظرة عابرة الى الموظفة الجديدة فألفاها تميس فى فضاء خطواتها المتزنة ، الحذرة ...

والتفت الى الحارس الذى التصق بالباب وربض هناك ، ساكنا ، ... ثم طلب منه أن يأتى له بقهوة ، فاضطرب .. اضطرب لانه يعلم أن شرب القهوة أثناء العمل محجر .. فأعاد له مؤكدا :

ـ أريد قهوة ؟ هاك !

ومد له قطعة صفراء من النقود ذات مائة مليم . فأخذها ودسها فى جيبه بسرعة وهرول الى المطبخ ...

وعند الزوال تطوعت مريم لتوصله على سيارتها الى بيته ... وفى الاثناء قالت له :

ـ آه ؟ ما رأيك فيها ؟ انها غضة ؟ جرب حظك ؟

ـ عمن تتحدثين ؟

ـ لا تتظاهر بالبلاهة ؟ انك تعرف الموظفة الجديدة وقد أخبرتنى بهذا منذ قليل ؟

ـ أعرفهـــا ؟

ـ فى مدة التربص التى ... ؟

ولفهما صمت ... ولما وقفت السيارة أمام البيت قالت له مريم :

ـ يبدو عليك تعب شديد ؟

ـ شديد جدا ؟

ـ ان شباب هذا الجيل سريعو الكلل والملل والتعب ... ؟
فلم يجبها فأضافت مبتسمة :

ـ ولا يثمرون ثمار الكهول مثلى ؟
فرمقهـــا :

ـ هل تعلمين لماذا ؟

ـ لا أريد ذلك ؟

وشكرها على لطفها وكياستها ثم انطلق الى المطعم ٠٠٠

*

٠٠٠ واجتمع بسلوى فغمرته بابتسامة حلوة أطردت من ذهنه مرارة قلق ممض ٠٠٠

قالت له :

ـ اننا نعرف بعضنا بعضا ؟

ـ كان ذلك منذ ثلاثة اعوام ؟ أليس كذلك ؟

وأجابته بابتسامة وبنحنحة ناعمة ٠٠٠ واضاف :

ـ لقد تغيرت كثيرا ؟ يبدو أن الزواج وافق مزاجك ٠٠٠ ؟

ـ .... ؟

ـ وسقطت مريم بصوتها الاجش :

ـ صباح الخير حامد ؟ سلوى ؟ ٠٠٠

*

٠٠٠ لقد تذكر حامد الآن كل شيء ، ٠٠ تذكر سلوى الطالبة والمحاولة الغرامية الفاشلة ٠٠ وتذكر حين رفضت مرافقته بل وحين صارحته بانه يزعجها أكثر مما يجب ٠٠ أكثر مما يجب ، لان لها من تعبده ٠٠

وأخيرا تذكر أيضا ، حتى حين التقى بها ، ليلا ، على المدرج ، وقد ابتسمت له ابتسامة فيها اقرار وتحد وعلى عينيها الزيتيتين وشفتيها الملثومتين رعشة لذة محمومة ٠٠٠

ولكنه ، ولكنه تذكر أيضا أنه نسيها بسرعة ٠٠٠

وها هي اليوم تعود وفي أعطافها أطياف وعود ٠٠

*

٠٠ وذات يوم دعاها لرقصة ٠٠ ، لرقصة في ظل عودة ٠٠٠ ، فاستجابت وماست في لهف ضم عنيف ٠٠ وتصدعت رجة انطلاقتها في ابتسامة ٠٠

٠٠ وقالت له : في وجداني طعم ممل ، ٠٠ طعم من يلوك جسما مطاطيا ٠

٠٠٠ وسكنت حركات حامد في نظرة ساهمة ٠٠

٠٠٠ وقالت له : لم أفكر في زوجي المريض وأنا أضمك وانما أحسست

أن هذا لا معنى له ولا طائل من ورائه ٠٠ ، اننا نخطىء ولا مفر لنا من الخطيئة ولكن بدون رجاء ٠٠ ، ان اجتماعنا ضرب من العبث كما ان فراقنا ، هو الآخر ، ضرب من العبث ، وفى هذه الذبذبة تكمن المعضلة الكبرى ٠٠ ، ولكن ما الذى يسكننى الى صدرك ؟ لا شىء يافلانى ٠٠٠ ، لا شىء اذا اعتبرنا الصدفة لها معنى الشذوذ ٠٠ و ٠٠ ولان الصدفة لها معنى الشذوذ ٠٠٠

***

٠٠٠ وفى بيتها استلقت على فراشها وأغمضت عينيها ـ ، ثم التفتت لترى وسادة زوجها فصاحت :

ـ الهام ؟

وجاءتها الهام ٠٠ ، الهام ابنتها ٠ وابتسمت الطفلة ثم عانقت أمها :
ـ ماما متى سنذهب لزيارة أبى ؟

ـ غدا يا حبيبتى ؟

ونامت الطفلة على ذراع أمها ٠٠٠ ومدت سلوى يدها اليمنى الى شعرها وأخذت تلامس ظلالا ٠٠ ظلالا كثيفة ٠٠٠

والتفتت فرأت ابنتها فى نوم هادىء مسترسل ٠٠٠ وتذكرت حامدا حينما قال لها ذات مرة : ٠٠ أما أنت فقد تكونين فى نوم عميق ٠٠ ، عميق جدا ويد مهملة ملتصقة بخصرك ٠٠٠ استيقظى فى ليلة من الليالى ، فى ساعة متأخرة من الليل وافتحى عينيك سترين جسما ممدودا الى جوارك ، وأنفاسا رتيبة ، فى حركتها المتوازنة ، ووجها مسالما ٠٠٠ فلعل هذه الصورة تعيد لك انسانيتك التى طالما حلم بها البشر ٠٠٠

٠٠٠ وأطلت من النافذة فرأت الخادم ، الشيخ ابراهيم ، قابعا فى الحديقة صامتا ، يرنو الى الافق حالما كانه فى حضرة ساحر ٠٠ وبجواره القطة البيضاء مستسلمة لاشعة الشمس الناعمة ٠٠ وفكرت :

« ان محياه هادىء يعبر عن اطمئنان ورضى ٠٠٠٠ وتذكرت شاعرا وشعرا :

خل عبء الحياة عنك وهيا   بمحيا كالصبح طلق أديمه
فكثير عليك أن تحمل الدنيا   وتمشى بوقرها لا تريمه
والوجود العظيم أقعد فى الماضى   وما أنت ربه فتقيمه
وآنس فى الحياة ٠٠ فالعمر قفر   ٠٠٠٠٠٠

وتزاحم النغم وتعالى واصطخب فصاحت :

ـ عم ابراهيم ؟

فخرج الشيخ من صمته والتفت :

ـ سلوى ، بنيتى العزيزة ؟

وارتعشت ، ٠٠ وتهالكت على الشيخ دامعة ٠٠

ـ ما بك يا سلوى ؟ هل اشتد المرض بسيدى شهاب ؟

ولم تجب ٠٠٠ وسكنت الى صدره كالطفل الصغير بينما أخذت يد الشيخ تمر على رأسها فى لطف وصوته يهدهد :

ـ سيعود لك ، يا سلوى ، سيدى شهاب ٠٠٠

ورفعت له يده اليمنى ٠٠٠ وفاجأتها رغبة طارئة : انها تريد تقبيل هذه اليد ؟ ٠٠ وبقيت ترمق تجاعيدها وصلابتها وما فعلت بها الثمانون حولا ٠٠٠ وفكرت :

« ما أبهى شيخوخة الرجال ؟ انها ناعمة ، فيها دفء التجربة وعمقها ٠٠؟

ـ أسيعود شهاب يا عم ابراهيم ؟ نعم يا بنيتى ؟ سيعود وسيملأ هذا البيت بالورود !

٠٠٠ وذات ليلة ٠٠ وذات ليلة اشتد به هول وحدته فأخذ يكتب لها ٠٠٠ يكتب لها او لنفسه ؟

« كلما اشتد بؤسى وقست وحشتى واشتدت رهبتى أحاول أن أراك ٠٠، أن أراك أنت ؟ واذا ما بدا لى طيفك تختفى من حولى الموجودات وتغرق فى صمتها ٠٠٠ أما مشاعرى فهى تنذهل ٠٠ ، تنذهل فتكون أنت بسمتها ٠٠ وتعلو فى أبخرة الرؤى موجات اللذة الكبرى فتهتز نفسى وتنتشى : ها أنت تبتسمين وفى عينيك صفاء معنى عميق ٠٠٠ ها أنت ، تلفك اضمامة بيضاء ، ترقصين ٠٠٠

ولكنى سرعان ما التفت فارى موجات سوداء تداهمنى فأحول رأسى فأشاهد يدى مبسوطة ومكتبى مبعثرا ٠٠٠ »

« ٠٠ بذاتى تعوى حشرجات عطشى ، لاهثة ٠٠ ، حشرجات حائرة ،

عمياء ، ٠٠ انها تدوى فى صخب ، فى جنون ٠ انهـا تستحثنى ٠٠ ، انهـا تربينى وتلفنى بهالة حمراء ٠٠ وكلما تصعدت الحشرجة أرمق الاشياء حولى فى سكونها ، فى همودها ، واذا بالدمع يطفر ليحرق أهدابى ٠٠٠ وعندئذ أراك ، ٠٠ اراك أنت هذا الكائن الغض فأرى يدك ترتفعلعينى وتستدرها٠٠ وانت ، أنت تسكنين لدفء دمعى وتسلس نفسـك وتلين وينحنى قوامـك وتسرى فى أعطافك ومضة « الانسان » انى أراك ، ٠٠ أراك هكذا ، انسانة تغمرك هالة القدس الاسمى ٠٠٠

ويغرق كيانى فى حلم ٠٠ وتدنو من نفسى الحقيقة الكبرى فأجثو للرحمة الرحمة الكبرى ٠٠٠ »

« ٠٠ فيك ما فى هيكلى من حمى ، ولكن لك شفاه ، ٠٠ شفاه أنثى ؟ أما أنا فيبس أعصابى يحتد ويرعش عينى فأسقط من قرار البعد السحيق ٠٠ فمن انفاسك اللينة تشع فى عناصر جسمك حياة ٠٠٠ حياة ٠ أما أنا ٠٠؟»

« ٠٠٠ هـا قصتنا قـد انتهت ! لا تصرخى ؟ لا تبتسمى ؟ بل اسبـلى جفنيك ودعى محياك هادئا واسلمى أنفاسك تتذوق خشوع النهاية ٠٠ واذا ما عبرت أفق ذاتك أنسام ذكرى ٠٠ ، ذكرى عـودة طـائشة ، ازيحى عـن عينيك خصيلات شعرك واتركيهـا تحلـق فى الفضـاء البعيـد ، فى صـور مطموسة ، متذبذبة ٠٠ ، دعيهـا ولا تترعجى ستربن أقصى مـا يمكن أن يجنيه الشخص من حياة ٠٠٠

ـ رشيـد الغـالى ـ

* ذئب المدينة *

بقلم : صالح القابسي

الاهـــداء

التى نفضت عنى القلـق ثم توارت فى قتـام الزمان ، فعدت منفردا اجر نفسى و:حيا بلا ذكرى

وفى خشوع الراهب الشيخ اهدى اليها هذا العمل الاخير ٠

ص٠ ق.

الاشخـــاص

اب وزوجتان
ابنـــاء
جمل وبغل
شيخ زاوية

المشهد الاول

فى بيت من بيوت الكادحين ، نفر من الانسان ، فى ليلة يلقون بين يديها ما تبقى عندهم من حياة وجهد ، يجلسون على حصير من الحلفاء وثير ، **علته** مجمرة ، فجة النار ، ضئيلة الرماد ٠

الاب يتصدر المجلس ، وبجانبه زوجته الاولى ، رقية ٠ فعـدد من الابناء ، ثم الزوجة الثانية ، أم الزين وابنها ٠

ركب القوم لا تفتأ تعلو وتهبـط ، يمسك الاب والابنـاء بمنـديل انف ، يقلبونه على النار ٠

خا البيت ، صياح أسلاك الكهرباء ، وانصفاق الابواب فى مد وجزر ٠

أم الـــزين ــ ما كان أبعد أطراف هذه الليلة اللافحـة ، وما أشدهـا بردا واضيقها ٠ انها الليلة التى ننتظرها فى كل لحظة تمر بنا فى الاسبوع ٠ نتمناها كل زوال وفجر ، حتى اذا جاءت مرت مر الجنائز ٠
انها ليلة تمـوت بين اعـداد الكانـون ، وترتيب البيت لاستقبال يوم الجمعة ، حتى اذا كانت السهـرة ، لم نجـد سوى «كلام» نلوكه وآمال نقيمها فى فضاء من الارتجاف ٠

احد الابنـاء ـ سامحك الله يا أم الزين ، هذه ليلتنا نترجاها فى خلال كل لحظة نقضيها فى المدرسة ، او فى ورود الماء او فى مذاكرة الدروس ليلا انك لا تقدرين الشقاء الذى نعانى كل ليلة عند ذهابنا أنا وأخى فتــاح الى « فنـدق الهرقـام » نجس الظلام ، نترقب اللصوص ، نتقى الكلاب ٠
كيف لا تقدرين العواطف ، عواطفنــا ، وعــواطف الكلاب الهارة وعواطف العصا التى نحملها حتى نعـود «بالمقون» من «مباركة الحفيانة»

أم الــزين ـ هل تستبدل ذلك ، بغسل الصوف وتنقيته وغزله اناء الليل، وبالنهوض سحرا ، تتمم الغزل ، وتحضر الطعمة لتحمل الى السوق ، حتى اذا جاءك القمح ، نقيته ورحيته ورميته فى الطاجين ٠

احد الابنـاء ـ قد يهون كل شىء ، سوى حصة الكـرة التى نغتصبهـا من وقت الدرس والاشتغال ٠

ابـن آخـر ـ ستنوئين بالحمل يا أم الزين ، بعد أيام قلائل ، سنذهب الى بنى حسان لختان «رزوقة» ٠

أم الــزين ـ انى لك هذا ؟

الابـــــن ـ فى الليلة البارحة سمعت ابى يوافق ، قبل النوم عـلى طلب ، أمى فى ضرورة زيارة «العجامة» ، هذه السنة لختان رزوقة لانه سيلتحق بالمدرسة فى السنة المقبلة ٠

رقيـــــة ـ (فى شىء من دهشة)
صبية متهافتون لقد نويت ان افاجئك ٠ ولكن !

الا ب ـ لقد بلغ عبد الرزاق الخامسة من العمر ونيف ولم يبق له الا بضعة اشهر حتى ـ يرسم ـ بالمدرســة وليست مناسبـة أحسن ابدا من هذه ٠ فان الشتاء اذا خرج ، أقبل الربيع والصوف والزربية ، ثم ان فصل الصيف ، فصل الحرارة

أم الــزين ـ او تعنى أنك ستنفق رأس مال الزربية على ولائمك وجولاتك بالســاحل ، وتتركنى أقلب وجهى لـدى الحـاجة ففـانى الفقيرة الدائنة

الا ب ـ لن يكون هذا أبدا «ياحرة» سوف لا نذهب للساحل ، الا بعد ان نشترى الصوف ، ونحوله ونودعه المصبغة ٠ ثم ان الولد قد كبر ٠

الابنـــــاء ـ يتسابقون ، وينكبون تقبيلا على أم الزين

رقيـــــة ـ (ترقب الحركة فى اشفاق ، وفيما كانت أم الزين ، تخفف من زحام الشفاه المرتعشة تدخل فى ملاينة وتغنج)
تنحوا عن أمكم ، انها قديمة الطف ، وهى الجمل العبل ، وما أمرزوقة الانفيانة تتضاءل أمام ما تفعل عند كل افتتاح المدارس ، أو عند ارتفاع أسعار القمح والزيت

الابنـــــاء ـ ينتقلون بتقبيلهم الى والدهم ، فأم الزين ، ثم يعودون ، ولكنهم قد نسوا ، فى غمرة الفرح ، منديل الاب • فسقط على نفيان من الجمر وتآكل •

ا لا ب ـ هيه ، يا اولاد ، احترق منديلى ، وانتم تندفعون

احد الابنـاء ـ لا بأس عليك ، ففى مال الزربية غنى •

ا لا ب ـ أى زربية هذه ؟ ليتها تضمن رأس المال

الابـــــن ـ لم هذا الخوف من الحاجة «الفقيرة» انها كثيرة الذهب والحلى وفيرة الفائض والربا • ألا تفرح لفرح الصبيان

أم الــزين ـ مساكين هؤلاء ، ينشدون الرحمة لدى الحاجة •

ا لا ب ـ يعرك مسبحته بين يديه ، ايذانا بانتهاء الاوراد ، يسل ركبته فى رفق ، يلتفت الى رقية ويدعوها لملء دلو ماء حتى يؤدى صلاته ، ويودع يومه بين ترتيل طويل ، فيه رضا بالنصيب ، وامل فى يوم يسير •
تنهض رقية ، ويتفرق الجمع ، وبين عيونهم أمل ، وفى قله بهم حلاوة •

المشهد الثانى

قرية صغرى من قرى الساحل ، فى شطر وسط من الليل هى مسقط رأس رقية ، ومجتمع أهلها ، سكون لا يقطعه الا تجاوب كلاب مقرورة ، او صوت «الصوان» فى غابة الزياتين يتوعد ويزجر سرابا من الاشباح والاوهام •
باب عجوز ينفتح فيندفع منه جمل ، ينفض أشتاتا من طمأنينة وهدوء ، ثم يشد الى عربة يتراكم فيها المسافرون وقفاف الدجاج أكبر الابناء مع الزربية يشدان الى بغل القافلة تسير نحو «العجامة»

الاب ـ ما أشبه هذه الليلة بتلك ، انى أحس وكأنى أسرى لاول مرة

الجمـــل ـ أنا أنبئك بما لم تحط به خبرا ٠

الاب ـ مـاذا ؟

الجمـــل ـ انك تسير لاول مرة

الاب ـ حسنا منك هذه الدعابة ، يا أبا سلمى

الجمـــل ـ انى أدلك على نفسـك ، انـك لا تدرك ، وانت فى غمرة ، ان هذه الظلمـة ، وهـذا المـدى لم يتحـولا كأول مرة ، انما نتحول نحن ٠ ولو رأيت لعلمت أن الظلمة باقيـة ، وان النجوم ثابتة ٠

الاب ـ هذا حديث كأنما يقع لى لاول مرة ٠

الجمـــل ـ انك لم تظهر نفسك بامواج الظلام ، ولـم تكتحل باشراقـة النجوم ٠

الاب ـ قد أفعل ذلك

الجمـــل ـ متى عدت فى هذه الطريق

الاب ـ اخشى النسيان

الجمـــل ـ ذلك عزاء الانسان ، أما نحن فصبر جميل ، يهون معه السرى الى رجل حجارة من طين ، وفى داخله أخلاط من هواجس

الاب ـ ذلك شيخ ورع

الجمـــل ـ الظلمة والنجوم تشهد بانه عابد استبطنه الهوى ٠ ولعلـك تنفح باطلالة تكشف لك عن سر ٠

البغـــل ـ (يلتقط بعض الكلمات من خلال الاثير فيتوانى حتى يلتحـق به الجمل)
أراكم غير قاصدى طريق ٠٠٠

الجمـــل ـ اننا فى طريق الشيخ

البغـــل ـ شقاوة وضلال

الاب ـ أوليس جديرا بأن تشد اليه الرحال

البغـــل ـ سلنى لقد صحبته طويلا وحملته زمانا رسيلا ، لقد صحبت دعوى وحملت غواية ٠

الجمـــل ـ ها ان سنى الصبح بدا يخطو ، وهاهى ذى الاشعة لاحت تتواتر على قبة الشيخ

الاب ـ لعل النور يبين

الجمـــل ـ النور والظلمة باقيان ، ولكن صاحبك

الاب ـ رفقا ، فانى أحس ان الحياة تنطلق ، والحركة تبدأ ، انى اقترب ٠٠٠ الشيخ :
وتسير القافلة فى اغماءة ، ويصل الجميع

المشهد الثالث

الزائرون وسط المقام

البغـــل ـ (وهو ينصرف)
سلام عليكم ، سآوى الى ذلك الوادى الذى يجرى ماؤه ، ويصفو بأنوار الشمس ، وتتهاتف أمواجه مرتلة آيات الزمان

الجمـــل ـ سنتنا عند كل زيارة للشيخ

الاب ـ اذهبا اذن
وفيما تنحدر السائمتان نحو الوادى ، تحيط الجماعة بالشيخ وقد تربع بجوار تابوت غشته ذبالات وخرق

الاب ـ سلام الله على اولياء الله ، بركاتك يا شيخى ، انما نحن أهلك وأشياعك نرتجى ثوابا وعونا ٠

الشيـــخ ـ (فى خيلاء)
الا ان اولياء الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
(تزحف الجماعة وتنكب لثما ليد الشيخ)

احد الابنـاء ـ ان فى يد الشيخ رائحة ٠

الاب ـ ليس هذا عزم من يرتجى الحسنى ٠ اللهم اللهم رشادا ٠ اللهم انه فتاى !

الشيـــــخ ـ وقد بدأت نظراته تتريث واوراده تتباطا :
انك تشم رائحة المقام ·
يدفع باب من أعماق الزاوية وتخرج «الدرويشة سالمة» ، وهى حليلة الشيخ منفوشة الشعر ، ضربها السواد ، وتغشدها النزق · تسلم فى فتور ، ثم تتجه الى زمرة الدجج والقاف · وترنو شزرا ، ثم تأخذها وتلتوى وتغيب تعود انظار الجماعة الى هيكل الشيخ ·

الشيـــــخ ـ على سنة المشرقات ، والفراديس العانيات ، وما أهل لسرحان تيسر لى الاعمال وأسير من وراء الرجل ، انه هذا الزمان استنوقوا يا سادة ، وتقدموا فن أعالى الامور العبادة وخواتمها العما···

الاب ـ بدايتنا على بركة سرحان ، هؤلاء الصبية ، وفيهم الهشيم الممدود ، والفارع المقدود ، لقد كشفت كشفا قديما و «رأيت» ان الزرع خير · أتتذكر ذلك ، انه فى عام مضى ·

الشيـــــخ ـ ذلك عام الكبش ، وهذه سنة الدجاج · تقدم يا فتى · ما اسمك ؟

الفتـــــى ـ أنا الغضيض الصليب ·

الشيـــــخ ـ انك من طين ، قالت الابراج

الفتـــــى ـ فتنة وضلال

الشيـــــخ ـ ما هذه القردة المردة · والمكلبة البددة ، والاخشاب النخرة ·

الفتـــــى ـ بشرى لك وللخشب ، انه يبقى بقاء الليل يعقبه النهار

الشيـــــخ ـ أما ترعوى، وفيك فضل من هذا المقام ؟

الفتـــــى ـ انه مقام الخشب

الشيـــــخ ـ بناه الصالحون ، وفيه سرحان

الفتـــــى ـ نامت دونك العين · ولكن أتأمن ؟

الشيـــــخ ـ تنزيل من عزيز حميد

الفتـــــى ـ لو صدقت يا شيخ !

الشيـــــخ ـ فى صناديقنا فضل من بخور وند

الفتـــــى ـ وان أظلم الليل

الشيـــخ ـ اعد انسانا

الفتـــــى ـ هل من سبيل ؟

الشيـــخ ـ وهل تموت الاخشاب ، وتغور النجوم ؟

الفتـــــى ـ ارفع عنك حجاب المقام وعد الى نفسك

الشيـــخ ـ هل أعود فى النهار ؟

الفتـــــى ـ وعليك شىء من تراب

الشيـــخ ـ لكن ، هل ينفع البخور والرفوش

الفتـــــى ـ انها نار وصخور

الشيـــخ ـ يتحسس نفسه ، يطير ، يكاد يطير ، يهدج ، انا ، البخور . البخور .

الاب ـ (مرتعدا) مصفرا ، مشفقا ، : **اللهم** شيخى ، **انه من الاولياء** ، يتداعى الشيخ وينهار .

(يدفع الباب بقوة ، فاذا المسائمتان قد وضعتا **يدا فى يد** يترنمان بصوت منغم رقيق .
يزداد عجب الاب ، ويكاد يغيب ، حتى اذا **اقترب الفتى من المنشدين تلازموا وأخذوا الطريق .. طريق الوادى .**
يتبعهم الاب والباقون وعلى عيونهم علامات)

صالح القابسى

مطالعات

خمر وشعر

لسامي الكيالي

طبعة أنيقة واخراج حسن يوحيان بما فى الكتاب من خفة روح وسلامة ذوق . ان الحديث يتناول الخمر وما قيل فيها من شعر . ورغم ذلك فالاستاذ سامي الكيالي بعيد عن أن يعرف طعم الخمر لكنه شغوف بمجالسها ينتشى بأخبارها ويتذوق شعر الشعراء الذين هاموا بها فليس الكتاب اذن دراسة فى الخمر ومفعولها وليس هو تحليل للخمريات بل هو مجموعة من الاخبار عن الخمر والخمارين وعن الشارب والمشروب وهو أيضا منتخبات من المقطوعات الشعرية لاحسن شعراء القديم والحديث والشرق والغرب وكأن الاستاذ سامي الكيالي أراد أن يربط الصلة بالاخباريين القدماء فجمع ما جمع ليمكن الباحثين فيما بعد من الدرس والتمحيص وان هو حاول فى بعض المواطن أن ينبه القارىء الى مسائل هامة تتعلق بهذا الغرض الذى احتل مكانة كبيرة فى الادب العربى منها اعتناء أغلب الشعراء من الجاهلية الى هذا العصر بالخمر ومفعولها غير أن الاستاذ لم يرد البحث فى هذا الموضوع مع ان المادة التى قام بجمعها جمعا يستحق الشكر تعين على ذلك .

لقد بين أن جذر «خمر» معناه ستر وغطى وأورد أشعارا للجاهليين أوضحوا سبب شربهم للخمر وقولهم فيها منها قول المنخل اليشكرى :

ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فاننى رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

فكيف لا يشرب العربى الفقير الذى قست عليه الطبيعة وكيف لا يغرق همومه فى الخمر من يحتاج الى البكاء على الاطلال وغير الاطلال .

يقول شاعر عربى قديم :

قومى اصبحينى فان الدهر ذو غير أفنى لقيما وافنى آل مرماس
اليوم خمر ويبدو فى غد خبر والدهر من بين انعام وابءاس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفقا لا يصحب الهم قرع السن بالكأس

ويثور أبو نواس على هذا البكاء والانين اذ يراه حطة للانسان فيصرخ :

تــداو من الصغيــرة بالكبيــر   وخذهــا من يدى ســاق غرير
ودعنى مــن بكــائك فى عراص   وفى أطــلال منــزلــة ودور

وهكذا فان مادة الكتاب غزيرة تتيح للباحث الاطلاع على ما تبعثر فى كتب عـديدة من الادب العربى فشكـرا للاستـاذ عـلى عملـه هـذا والرجـاء أن يوافينا بالبحث الذى وعدنا به فى طيات كتابه ٠

ب - س

ديوان دعبل بن على الخــزاعى

وصلنا منذ أيام هذا الديوان القيم الذى اعتنى بجمعه وتحقيقه والتقديـم له الاستاذ عبد الصاحب الدجيلى من العراق ٠

وينقسم هذا الكتاب الى اقسام ثلاثة :

1) مقدمتان تقع فى 82 صفحة يتعرض فيها الجامـع الى حيـاة دعبـل فى مختلف أطوارها واحداثها معتمدا على الاصول القديمة ٠

2) الديوان نفسه من ص 85 الى ص 214

وهو قسمان { - قسم جمعت فيه القصائد التى قيلت فى آل بيت الرسول
- وقسم جمع فيه سائر شعر دعبل ٠

3) الفهارس والمراجع من ص 217 الى ص 255

ونحن نشكر للاستاذ الدجيلى هذا العمل الجليل فى التعريف بأحد كبـار شعراء العربية وان كنا نلاحظ أحيانا فى حديثـه عن دعبـل مجاملـة لهذا الشاعر وميلا عن الحق يذهبان به الى تكذيب رواة ثقات مثل الخطيب البغدادى أو كتاب مشهورين من القدماء مثل ابى الفرج الاصفهانى أو أبى العلاء المعرى كلما طعن أحدهم فى دعبل ٠

وكل من نظر فى شعر دعبـل نظرا جديا يتضـح له أن الطعن فى هـذا الشاعر من طرف القدماء والمحدثين لم يقع فى غير محله ٠

فقد كان بذىء اللسان مقذع الهجاء لم يفلت من الوقوع فى لسانه خليفة أو وزير أو كاتب أو حتى بعض أفراد أسرته مثل زوجته ٠ وقد كان يقول عن نفسه : « ما كانت لاحد قط عنـدى منـة الا تمنيت موتـه » كما كـان يقول : « لى خمسون سنة أحمل خشبتى على كتفى أدور على من يصلبنى عليها فما أجد من يفعل ذلك » ٠

وقد أحسن الاستاذ الدجيلى الى الادب العربى بجمعه شتات شعر دعبـل من متفرقات المراجع وترتيبه ترتيبا يسهل على القارئ الرجوع اليه ٠

ونحن نرجو أن نرى بعض أدبائنا يتصدى لدراسة هذا الشعر دراسة عميقة في شكل اطروحة فانه عظيم الفائدة لمعرفة نفسية دعبل وللاطلاع على جوانب هامة ودقيقة من نفسية مجتمع دعبل وبيئته ·

م - ع - ع

ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني

تحقيق خليل ابراهيم عطية

نشر الاستاذ خليل ابراهيم عطية ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني سنة 1962 بمطبعة اسعد في بغداد - وتقع هذه النشرة في 103 صفحة وتشتمل على مقدمتين الاولى للشيخ محمد رضا الشبيبي والثانية للناشر وعلى جملة من الفهارس ·

عرف الشيخ محمد رضا الشبيبي عضو مجمع اللغة العراقي في مقدمته القصيرة بالشاعر ووقف على بعض خصائصه - أما مقدمة الناشر فقد تعرضت بتفصيل الى حياة المزرد بن ضرار الغطفاني وهو من شعراء صدر الاسلام يفترض أن تكون وفاته في حدود سنة 30 ه أو ما بعدها - والمزرد أخ لاثنين من شعراء عصر صدر الاسلام : الشماخ وهو أشهرهم وجزء بن ضرار - كانت له أخبار مع كعب بن زهير والحطيئة - يندرج شعره في شعر المخضرمين من حيث الألفاظ والتراكيب والاغراض - تصرف في أهم أبواب الشعر : الهجاء والنسيب والفخر -

أما الديوان فقد نقل عن مخطوطة المتحف العراقي وهي برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب ·

ج - م

الملاح الشاعر

تأليف : محسن الحبيب

دراسة تحليلية كتبها محسن الحبيب ونشرتها مطبعة أسعد ببغداد سنة 1962 في 64 صفحة ·

قدم الدراسة الشيخ جلال الحنفي وأثنى على نشاط الشاب التونسي واعتنائه بالشاعر العراقي الملاح - ومهد المؤلف لدراسته ببحث في النهضة العربية المعاصرة ثم تخلص الى الحديث عن حياة محمود الملاح - وهو من شعراء العراق المعاصرين - وخصائص عصره وشعره · وقد التزم الشاعر الملاح قضايا العرب أيام العهد العثماني والاحتلال الغربي حتى أصبح الناطق باسم الشعب في شتى المناسبات الدينية والسياسية · ويجدر أن نلاحظ ان الشاعر العراقي لم يطبع دواوينه وانما اعتمد المؤلف الشاب على الصحف والمجلات ·

ج - م

شحارير بيضاء

لمصطفى أحمد النجار

كتيب صغير صدر عن دار الرائد بحلب فى 53 صفحة يتضمن باكورة ما أنتجته قريحة مصطفى أحمد النجار ، هى مقطوعات صغيرة من الشعر المنثور عميقة فى بعض الاحيان صريحة بليغة الصراحة نجد مثلا هذا القول :

وأنا لما أزل فى الشعر بدء انطلاق

لا أحب حرباء البشر

أبغض .. لا أريد النفاق

فالشاعر يتحسس طريقه فى الحياة وفى فهم الحياة وهو لم ينكر ذلك بل يؤكده ولعله أيضا يتحسس طريقه فى الصيغة الشعرية التى يمكن أن تلائم اتجاهه ففى هذه المقطوعات ما يدل على أن الشاب الشاعر له من المواهب ما يؤهله لرضا آلهة الشعر عنه .

ب ـ س

الفكر

تصدر شهريا بتونس

مديرها المسؤول : محمد مزالى

رئيس التحرير : البشير بن سلامة

المراسلات : صندوق البريد 556

الحساب الجارى بالبريد 33769

تونس

أصداء الفكر

• **توحيد التواريخ الهجرية بالبلاد العربية**

قررت اللجنة الثقافية القارة للجامعة العربية عقد ندوة بتونس فى شهر أوت القادم للبحث فى الارقام العربية واستعمالها وفى توحيد التواريخ الهجرية حتى يكون اليوم الاول من كل شهر قمرى هو نفسه بالنسبة لجميع البلدان العربية ·

• **الفرقة التمثيلية لبلدية تونس بـ « مسرح الاوطان »**

« مسرح الاوطان بباريس » مؤسسة وجدت لتمكين البلدان الاجنبية من عرض لقطات من فنها وخاصة التمثيل أمام الجمهور الفرنسى · وفى هذه السنة وقع الاختيار على الفرقة التمثيلية لبلدية تونس مع فرق أخرى ورفع الستار يوم 11 أفريل على هذه الفرقة الناشطة الحية لتمثيل مسرحية «كاليكولا» لالبير كامو · وكان قد ترجمها الاستاذ حسن الزمرلى ونشرت على صفحات الفكر فى الفترة التى عرضت فيها على المسرح البلدى بتونس · ولقد أجمع الناقدون على أن الفرقة البلدية أدت الادوار فى براعة فائقة فنهنىء الفرقة على مجهودها ونرجو لها مزيد النجاح ·

• **زيارة رئيس اتحاد الكتاب السوفياتيين للفكر**

زار « الفكر » خلال هذا الشهر ايفان تربا Ivan Tarba رئيس اتحاد الكتاب السوفياتيين ويورى مدفيداف Youri Medvedev الكاتب الروسى المعروف

وكانت هذه الزيارة شيقة مكنت أسرة الفكر من الاطلاع على الجو الثقافى والادبى بالبلاد السوفياتية ومن تبادل الآراء فى الشعر ، خاصة وأن رئيس الاتحاد شاعر قبل كل شىء ومكنتها أيضا من ابداء وجهة نظرها فى دور الكاتب فى المجتمع فكان النقاش مثمرا الامر الذى ارتاح له الزائران ومكنهما من تدقيق آرائهما وتوضيح موقفهما من مشاكل عدة تهم الادب السوفياتى والعالمى ·

ويجد القارى فى غير هذا المكان نموذجا من شعر «ايفان تربا» انشده فى هذه الجلسة ونقله ـ شعرا ـ نور الدين صمود ·

• **« جورج سادول » يحاضر بدار الثقافة**

قام « جورج سادول » وهو الناقد السينمائى المعروف وصاحب تاريخ السينما بمحاضرة مساء يوم الجمعة 5 فيفرى بدار الثقافة ، ونظرا لقيمة

المحاضر فان الجمهور كان كبيرا ولقد احتشد بالردهة المفضية الى قاعة المحاضرات ومنع في أول الامر من الدخول لان معظمه لا يحمل استدعاءات ولما تبين لمدير الدار الاستاذ الناشط الزميل رفيق سعيد أن غير المدعوين أكثر اقبالا على المحاضرة من المدعوين فانه سمح لهذا الحشد بالدخول • وكانت السهرة شيقة تحدث فيها « جورج سادول » في لغة رقيقة ولهجة جذابة عن الافلام القصيرة ودورها وهدفها التي ترمي اليه ودعم آراءه ببعض الاشرطة القصيرة ثم وضح فكرته فيما يسميه هو « السينما ـ الحقيقة » Cinéma Vérité مبينا أن مستقبل هذا الفن يرتكز على هذه الطريقة أي الطريقة التي لا تحتاج الى ممثلين و «ديكور» مصطنع بل التي تلتقط واقع الناس من دون تكلف ولا تصنع مع مراعاة أصول الفن ، في جمع صور هذا الواقع وتنظيمها حتى لا تكون جافة مقلقة • وأخيرا ختمت السهرة بمناقشة أظهرت اهتمام الجمهور بهذا الفن وتتبعه لادق جزئياته •

• الطاهر الحداد للجيلاني بالحاج يحيى ومحمد المرزوقي

صدر في هذا الشهر كتاب عن الفقيد الطاهر الحداد يحتوي على 300 صفحة يهتم القسم الاول منها بأطوار حياة الرجل والقسم الثاني بتراثه • ونحن نرجو أن يلقى هذا الكتاب العناية من النقاد التونسيين لمكانة الفقيد في الحركة النقابية والادبية •

• أسبوع الفن ... في عطلة الربيع

أثناء عطلة الربيع نظمت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار أسبوعا للفن من يوم الاثنين 25 مارس 1963 الى يوم الاحد 31 منه ، واشتمل على محاضرات نظرية ودروس تطبيقية في مختلف الفنون من موسيقى وتمثيل ورسم لافراد الجمعيات المدرسية وتلاميذ المدارس الثانوية ومدربي جمعيات الموسيقى النحاسية والوترية واطارات التمثيل وهواة الرسم • وقد نظمت دروس التمثيل بدار الثقافة واشتملت على محاضرات في تحليل روايات وشخصيات من مختلف العصور وفي مبادىء التمثيل وتاريخه العام والعربي وفي الاخراج والالقاء أما حصص تكوين المناظر المسرحية فقد وقعت بمدرسة الفنون المستظرفة • ونظمت دروس التصوير والموسيقى بمعهد ابن شرف واشتملت على محاضرات في تاريخ الموسيقى العربية وحفظ الوصلات من المألوف والموشحات الشرقية ودروس في الترقيم والنغمات وفي العزف على مختلف الآلات •

واشرف السيد كاتب الدولة للثقافة والاخبار بدار الثقافة على افتتاح اليوم الاول لاسبوع الفن بحضور عدد كبير من أساتذة الموسيقى والمسرح

والتصوير ، والقى بهذه المناسبة كلمة عبر فيها عن ابتهاجه لرؤية عدد كبير من الشباب يهتم بالفن ويشارك فى هذا الاسبوع الرامى الى العناية بالفنون الجميلة بصفة عامة وقال : ان حضور هذا العدد من الشبان خاصة أثناء عطلة الربيع لهو دليل على اهتمامهم بالفن ورغبتهم فى الرفع من مستواه وتغذية عقولهم • وقد تعلقت عناية كتابتى الدولة للتربية القومية وللشؤون الثقافية والاخبار بتغذية أبناء المدارس الثانوية تغذية فنية مع ملاحظة ان التعليم فى الماضى كان لا يهتم بهذه الناحية ، وقد شعرت حكومة الجمهورية بهذا النقص واول من شعر به وتحدث عنه هو فخامة رئيس الجمهورية الذى حلل هذه الظاهرة الموروثة عن الاستعمار وأمر بتكوين الشباب من هذه الناحية • ثم تعرض السيد كاتب الدولة الى اصح التعليم فبين ان الاصلاح الذى أدخل سنة 1958 كان يهدف الى ادخال المواد الفنية التكنيكية فى التعليم حتى يكون الطفل قادرا على استعمال يديه ، وامتدت هذه الثورة الى تنمية النشاط الفنى من رسم وموسيقى وتمثيل فاذا اضفنا الى ذلك العناية المتزايدة بالتربية البدنية والرياضية نكون قد ارتحنا الى تعليمنا وحق لنا أن نأمل تخرج أجيال تكون على قدر آمالنا فى مستقبل البلاد •

• السبيل لسان الكشافة التونسية

طلعت مجلة السبيل لسان الكشافة التونسية فى ثوب جديد يدل على حيوية هذه المنظمة الكشفية وايمانها برسالتها المواكبة لنهضة الامة العاملة فى سبيل اصلاح رجال المستقبل • وفى هذا العدد مقالات قيمة للاساتذة زكرياء بن مصطفى وقاسم عزاق ومحمود حميدة والهادى الدبابى وتاج المختار والحبيب الهاداوى وصالح الهويمل • ويتضمن هذا العدد حديثا أجرى مع السيد محمد مزالى مدير الشباب والرياضة فيما يخص القرار القاضى بجعل الرياضة مادة اجبارية فى الباكالوريا وقد بين السيد المدير قيمة هذا الحدث وما سينجر عنه فى المستقبل من نتائج تفيد الشباب والامة جمعاء • فشكرا للساهرين على هذه المجلة •